الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
معهد العلوم الاسلامية
قسم أصول الدين

صفات عباد الرحمن من خلال سورة الفرقان

دراسة تحليلية وموضوعية

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم الاسلامية

تخصص: علوم القرآن وتفسيره

إعداد الطالبة: **إشراف الأستاذ:**

كلثوم بوزيان **محمد الصالح غريسي**

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
كمال قدة	أستاذ محاضر	جامعة الشهيد حمه لخضر	رئيسا
عباس منصر	أستاذ مساعد	جامعة الشهيد حمه لخضر	مناقشا
محمد الصالح غريسي	أستاذ مساعد	جامعة الشهيد حمه لخضر	مشرفا ومقررا

السنة الجامعية:1436-1437هـ/2015-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك، ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ... ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ... ولا تطيب الآخرة إلا بصفوك... ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك... الله جل جلاله

إلى من بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ... ونصح الأمة... إلى نبي الرحمة ونور العالمين ... سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إلى من كلّله الله بالهيبة والوقار ... إلى من علمني العطاء دون انتظار ... إلى من أحمِل اسمه بكل افتخار ... أرجو من الله أن يمدّ في عمرك لترى ثمارًا قد حان قطافها بعد طول انتظار، وستبقى كلماتك نجوما اهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد "زوجي الغالي رشيد بديدة"

وإلى أهل زوجي قاطبة وأخص بالذكر الوالدة "أمي خديجة "

إلى من كان قدوتي في الحياة، وجاهد من أجل راحتي وسعادتي، إلى من حصد الأشواك عن دربي يمهد لي طريق العلم، إلى القلب الكبير

والدي العزيز "عرابي"

إلى ملاكي في الحياة ... إلى معنى الحب ومعنى الحنان ...

إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاؤها سر نجاحي، وحنانها بلسم جراحي، إلى أغلى الحبايب أمي الحبيبة "صباح"

إلى أخي الذي كان سندي في الدنيا ومددا لا ينقطع : "مصطفى"

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة...إلى رياحين البيت إخوتي وأخواتي

وإلى أهلي عامة

إلى من تحلين بالإخاء وتميزن بالوفاء والعطاء، إلى ينابيع الصدق الصافي، إلى من معهن سعدت، وبرفقتهن في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت، إلى من كن معي على طريق النجاح والخير، إلى من عرفت كيف أجدهن، وعلموني ألا أضيعهن رفيقات دربي.

وإلى كل أساتذتي الكرام، وكل رفقاء الدراسة. وإلى كل طلبة السنة ثانية ماستر علوم القرآن و تفسيره، دفعة2016

إلى كل من سقط من قلمي سهوا.

أهدي هذا العمل.

كلثوم

شكر وتقدير

الحمد لله الذي هدانا لهذا و ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة و السلام على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين .

أما بعد:

قال ﷺ :" لا يشكر الله من لا يشكر الناس " رواه الترمذي.

بادئ ذي بدء، أشكر الله تعالى على نعمه الجليلة؛ بأن أمدني بالصِّحة والقوة وكان لي عونا ودعما ومنحني الرشد والثبات لإعداد هذا البحث، وأرجو أن يكون ذخرا في ميزان الحسنات يوم القيامة.

فيلزمني في هذا المقام أن أتقدم بوافر الشكر و العرفان إلى الأستاذ الفاضل : **غريسي محمد الصالح** الذي أشرف على هذه الدراسة ، و لما بذله معي من جهد و ما منحه إياي من توجيهات و ملاحظات تثري هذه الدراسة، فأسأل الله تعالى له التوفيق و السداد لكل ما يصبوا إليه.

كما أتقدم بالشكر و التقدير إلى زوجي الذي أسفر معي في هذا البحث من صبر وحرص وتوجيهات، فأسأل الله تعالى أن يوفقه إلى ما يحبه ويرضاه.

كذلك للذين لم يبخلوا عليّ بتوجيهاتهم و ملاحظاتهم القيمة ، ولم يدّخروا أي جهد في ذلك.

و إلى كل من شجعني على إتمام هذه الدراسة و ذلل لي الصعاب و وفّر لي المناخ المناسب لإتمامها. و نرجو لهم من الله تعالى التوفيق و السداد لكل ما يحبه الله و يرضاه.

وصل اللهم و سلم على سيدنا محمد و على آله و صحبه و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الملخص:

تناول البحث صفات عباد الرحمن من خلال سورة الفرقان وفق الدراسة التحليلية والموضوعية، حيث تطرق إلى التعريف بالسورة التي جاءت تصديقا للنبي ﷺ من خلال المعجزة القرآنية ثم ذكر أغراضها التي من بينها التنويه على أن القرآن منزل من عند الله ﷻ وذكر الناسخ والمنسوخ فيها.

وتناولت الموضوع بالدراسة التحليلية أولا؛ مبينة اسباب نزولها، والقراءات المتواترة مع توجيهها، والأوجه اللغوية والنحوية والبلاغية الموجودة فيها، كما حللت الآيات أيضا بالتفصيل.

وبالدراسة الموضوعية ثانيا؛ بذكر **صفات التحلي** التي هي التواضع الحلم والتهجد والخوف من الله والاعتدال في الانفاق وقبول المواعظ والابتهال ، **وصفات التخلي** التي هي الشرك والقتل والزنى والزور ثم بيان **جزاء عباد الرحمن** المتمثل في الدرجات العالية، وذلك بذكر لكل منهم علاقتها بما قبلها، والمعنى الإجمالي لها، وبيان الصفات بالدلالات والهدايات المستنبطة منها.

Summary:

The research recipes sunflower Rahman through Furqan according to the analytical study and objectivity, which touched on the definition surah which came ratifications of the Prophet (upbh) through the miracle of the Qur'an and then stated objectives which include mention that the Qur'an from God Almighty said duplicator and copied them.

And it addressed the topic analytical study first; set out the reasons for descent, and with frequent readings directed, linguistic and grammatical and rhetorical in them and faceted, and also analyzed the verses in detail.

The study objective Second; mention recipes show that is humility dream and the vigils and the fear of God and moderation in spending and accept sermons and invocation, recipes abandon that is polytheism, murder, adultery and Zor then kicks statement sunflower Rahman of high grades, and by mentioning each relationship to what is accepted, the total effect her, and the statement of the qualities of significance and Gaat derived from them .

مقدمـــــــــة

مقدمة:

الحمد لله الذي هدى إلى الاحسان وجعل كتابه دليلا لأهل الايمان، والصلاة والسلام على من زانه ربه بالقرآن وحباه بليلة القدر في رمضان، وعلى آله وصحبه سادة الأزمان وعلى من تبعهم من أهل الحق والعرفان.

أما بعد:

فالقرآن الكريم كتاب معجز بألفاظه ومعانيه؛ فقد أعجز العرب آنذاك، وكان عجز من بعدهم من باب أولى، وجاء يأمرنا بحقيق العبادة للرحمن على أكمل وجه، وهي الغاية التي خلق الله من أجلها العباد حيث قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: 56].

كما بين لنا الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها من تشرف بالتقرب للرحمن بالعبادة، والصفات التي ينبغي اجتنابها والتخلي عنها.

فالآيات التي جاءت تتحدث عن صفات هذه الصفوة من المتقين هي التي ختمت بها سورة الفرقان سواء كانت هذه الصفات متعلقة بأنفسهم أم بحالهم أم متعلقة بعلاقتهم مع خالقهم.

وانطلاقا من هذا كانت هذه الآيات من كلام الله تعالى، حيث كنت جاهدة في الغوص في كنه هذا المقطع ومكنوناته بالدرس والتحليل ومع موضوعاته بالبيان والتوضيح، وذلك لإبراز ما سبق ذكره.

أسباب اختيار الموضوع:

- نيل رضا الله سبحانه وتعالى.
- الرغبة الذاتية في الاطلاع على هذا الموضوع.
- بعد الناس عن فهم كتاب الله والعمل به والتوجه بتوجهاته وإخلالا بسنة النبي ﷺ.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في الوقوف على القيمة الأخلاقية والسلوكية والتربوية التي اتصف بها عباد الرحمن.

أهداف الموضوع:

- بيان أسباب نزول هذه الآيات ومناسباتها.
- أسرار البلاغة في هذه الآيات.
- بيان المعنى الاجمالي لهذا الموضوع.
- بيان الفوائد واللطائف.

طرح الاشكال:

للتنزيل الرباني على النبي الكريم أسماء عديدة وهي في الحقيقة أوصاف له، وكلها استخرجت من التنزيل نفسه أو من خلال الوحي النبوي الشريف؛ حيث سمي القرآن والذكر والكتاب والموعظة والنور، كما نجد من أوصافه أيضا الفرقان كما في قول الله جل جلاله : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: 1] فسمي بذلك لأنه يفرق بين الحق و الباطل بأدلته الدالة على صحة الحق و بطلان الباطل.

والمسلم في هذا المتاع الغرور محتاج بشده للتفريق بين الحق والباطل لمواجهة ذلك الصراع الأبدي مع الشيطان الذي توعد بني آدم كما جاء في التنزيل: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: 82. 83].

فالمخلَص من اتبع صفات الخلاص التي تنجيه في الدنيا والآخرة، والقرآن يحوي العديد من الآيات التي تدعو لذلك، ومن بينها آيات الجزء الأخير من سورة الفرقان. فما الصفات التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم وفي المقابل ما الصفات التي يجب عليه التخلي عنها من خلال هذا الجزء من التنزيل الكريم؟

وتحت هذا الاشكال الرئيسي تندرج أسئلة فرعية:

كيف عبر البيان القرآني عن هذه الصفات؟

ما هي المعاني والدلالات التي يمكن استخلاصها من التشكيل اللغوي القرآني؟

ما العلاقة بين التحلي والتخلي عن هذه الصفات وبين الواقع الذي نعيشه؟

الدراسات السابقة:

لقد كان لهذا الموضوع مجموعة من الدراسات، غير أنها تختلف على حسب المنهجية المدروسة بها، فتضمنت جل كتب التفسير دراسة سورة الفرقان؛ سواء بالدراسة التحليلية كتفسير الطبري وابن كثير والطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير والتفسير المنير لوهبة الزحيلي وغيرهم، أو بالدراسة الموضوعية كمجالس التذكير لابن باديس والتفسير الموضوعي لسور القرآن والمعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان وغيرهم.

وأما ما اختص في دراسة صفات عباد الرحمن كموضوع مستقل نجد:

ـ فتح المنان في صفات عباد الرحمن لوحيد بن عبد السلام بالي الذي تطرق فيه إلى ذكر الصفات الأربعة عشر لعباد الرحمن وبيان كل صفة وذكر الآثار فيها، وكانت خطته بعرض الصفات على حسب ترتيبها.

ـ آيات صفات عباد الرحمن في سورة الفرقان "دراسة بلاغية" لنايل ممدوح أبو زيد، حيث عالجت هذه الدراسة آيات صفات عباد الرحمن بلاغيا؛ ببيانه لجمال النظم والدقة في التعبير عن هذه الصفات، فوقف من خلالها على دقة وفصاحة بيانية عالية، وهو الأمر الذي يسهم في الوقوف على جانب كبير من جوانب الإعجاز البياني في القرآن، وكانت خطته على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها بيان أهمية البحث وخطته.

التمهيد: وفيه سبب نزول الآيات وعلاقتها بالسياق في السورة.

المبحث الأول: آيات صفات الإيجاب (التحلية) لعباد الرحمن.

المبحث الثاني: الآيات التي جاءت تنفي صفات السلب (التخلية) عن عباد الرحمن.

الخاتمة: وفيها ما توصلت إليه من نتائج.

ـ تنبيه الأذهان إلى صفات عباد الرحمن من سورة الفرقان لهدى عبد الكريم محمد بن علي وهي رسالة ماجستير في جامعة الكويت.

وكل هذا يختلف عما قدمته من حيث طريقة العمل والدراسة والمنهجية.

المنهج المتبع:

لقد اعتمدت في بحثي هذا على المنهج ا التحليلي الوصفي؛ فالتحليلي بتفصيل الآيات، والوصفي بالموضوعات المتطرق إليها في هذه الآيات، ومع بعض المقارنة في أقوال المفسرين.

خطوات البحث:

اتبعت في البحث الخطوات الآتية:

- عزو الآيات إلى سورها وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن، معتمدة على مصحف المدينة الإلكتروني.
- عزو الأحاديث إلى مصادرها وذلك في الهامش وذلك بذكر الراوي، الكتاب، الباب، رقم الحديث.
- عزو الآثار من مصادرها.
- ترجمة بعض الأعلام المفسرين الذين ورد ذكرهم وذلك بذكر الاسم الكامل لهم، وسيرتهم بشكل مختصر، وبعض آثارهم، وذلك لغير المشهورين من التفسير والمعاصرين.
- شرح بعض المصطلحات والألفاظ الغريبة في الهامش؛ وذلك بالرجوع إلى الكتب المتخصصة في ذلك.

ووضعت لكل هذه الخطوات فهارس لتسهيل عملية البحث، وسرعة الرجوع لأي معلومة.

خطة البحث:

تضمن البحث على فصل تمهيدي وفصلين رئيسيين:

حيث تناولت في الفصل التمهيدي مباحث ثلاثة؛ ففي الأولين التعريف بالتفسيرين التحليلي والموضوعي، وبذكر أهمية كل منهما، والخطوات التي يرتكزان عليها، أما في المبحث الثالث فتطرقت إلى التعريف بسورة الفرقان، ثم ذكر المناسبات بأنواعها، وذكر أغراضها وبيان المقصد منها، وما كان فيها من الناسخ والمنسوخ.

أما الفصل الأول فقد خصصته للدراسة التحليلية، وأدرجت تحته مباحث ثلاثة؛ وذلك بذكر أسباب النزول الواردة في هذه الآيات والقراءات الموجودة فيها، وشرح المفردات والأوجه النحوية والبلاغية، وفي الأخير تحليل الآيات.

أما الفصل الثاني فقد خصصته للدراسة الموضوعية، وأدرجت تحته ثلاثة مباحث أيضا؛ وكان التقسيم على حسب الموضوعات، الأول منها صفات التحلّي بالكمالات الدينية، والثاني صفات التخلّي عن ضلالات أهل الشرك، والثالث جزاء عباد الرحمن.

الصعوبات:

مما واجهني الآراء الكثيرة واختلافها في تفسير الآيات مجال البحث وتقسيمها بين القدامى والمعاصرين.

وأسأل الله أن أكون قد نالني حظ من التوفيق وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، و هذا الجهد في صفحات أعمالي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يغفر الله لي قصوري ويتجاوز عني، إنه ولي ذلك والقادر عليه ﷻ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الخطة التفصيلية:

مقدمة.

الفصل التمهيدي:

المبحث الأول: ماهية التفسير التحليلي.

المطلب الأول: التعريف بالتفسير التحليلي.

الفرع الأول: لغة.

الفرع الثاني: اصطلاحا.

المطلب الثاني: أهمية التفسير التحليلي.

المطلب الثالث: خطوات التفسير التحليلي.

المبحث الثاني: ماهية التفسير الموضوعي.

المطلب الأول: التعريف بالتفسير الموضوعي.

الفرع الأول: لغة.

الفرع الثاني: اصطلاحا.

المطلب الثاني: أهمية التفسير الموضوعي.

المطلب الثالث: خطوات التفسير الموضوعي.

المبحث الثالث: مباحث علوم القرآن المتعلقة بسورة الفرقان.

المطلب الأول: التعريف بسورة الفرقان.

الفرع الأول: اسمها.

الفرع الثاني: ترتيب السورة وعدد آياتها.

الفرع الثالث: مكيتها ومدنيتها.

المطلب الثاني: أنواع المناسبات في السورة.

الفرع الأول: المناسبة بين افتتاحية سورة الفرقان وخاتمة سورة النور.

الفرع الثاني: المناسبة بين افتتاحية سورة الفرقان وخاتمتها.

الفرع الثالث: المناسبة بين خاتمة سورة الفرقان وافتتاحية سورة الشعراء.

الفرع الرابع: المناسبة بين سورة الفرقان وبين سورة النور وسورة الشعراء من ناحية الموضوع.

الفرع الخامس: المناسبة بين خاتمة سورة الفرقان ومحورها.

المطلب الثالث: أغراض السورة ومقاصدها.

الفرع الأول: أغراض السورة.

الفرع الثاني: مقصد السورة.

المطلب الرابع: الناسخ والمنسوخ.

الفصل الأول: الدراسة التحليلية.

المبحث الأول: أسباب النزول وأوجه القراءات.

المطلب الأول: أسباب النزول.

المطلب الثاني: أوجه القراءات.

المبحث الثاني: شرح المفردات والأوجه النحوية والبلاغية.

المطلب الأول: شرح المفردات.

المطلب الثاني: الأوجه النحوية.

المطلب الثالث: الأوجه البلاغية.

المبحث الثالث: تحليل الآيات.

الفصل الثاني: الدراسة الموضوعية.

المبحث الأول: صفات التحلّي بالكمالات الدينية.

المطلب الأول: علاقة الآيات بما قبلها.

المطلب الثاني: المعنى الإجمالي.

المطلب الثالث: الدلالات والهدايات المستنبطة.

المبحث الثاني: صفات التخلّي عن ضلالات أهل الشرك.

المطلب الأول: علاقة الآيات بما قبلها.

المطلب الثاني: المعنى الإجمالي.

المطلب الثالث: الدلالات والهدايات المستنبطة.

المبحث الثالث: جزاء عباد الرحمن.

المطلب الأول: علاقة الآيات بما قبلها.

المطلب الثاني: المعنى الإجمالي.

المطلب الثالث: الدلالات والهدايات المستنبطة.

خاتمة.

الفصل التمهيدي

المبحث الأول: ماهية التفسير التحليلي.

المطلب الأول: تعريف التفسير التحليلي.

المطلب الثاني: أهمية التفسير التحليلي.

المبحث الثاني: ماهية التفسير الموضوعي.

المطلب الأول: تعريف. التفسير الموضوعي.

المطلب الثاني: أهمية التفسير الموضوعي.

المبحث الثالث: مباحث علوم القرآن المتعلقة بسورة الفرقان.

المطلب الأول: التعريف بسورة الفرقان.

المطلب الثاني: أنواع المناسبات في السورة.

المطلب الثالث: أغراض السورة ومقصدها.

المطلب الرابع: الناسخ والمنسوخ.

الفصل التمهيدي:

من حكم الله مع أنبيائه أن كانت معجزاتهم موافقه لما شاع وذاع في زمانهم؛ فكانت معجزة موسى عليه السلام في السحر، وكانت معجزة عيسى عليه السلام في الطب، وكانت معجزة خاتم الأنبياء ﷺ في اللغة والبيان؛ حيث نزل القرآن الكريم معجز لكل لسان عربي، يدعي لنفسه الريادة و التفوق في فنون الأدب؛ شعره ونثره.

لقد كان القرآن الكريم آية في الشكل والمعنى، وكانت أساليبه قمة في الصياغة والبلاغة، وقد انبرى العلماء جاهدين لمحاولة فهمه وتأويل دلالاته.

لقد كان لتلك الحركة العلمية مناهج وأساليب تنظم عملية التفسير والتحليل للتراكيب القرآنية، واختلفت أنواع التفسير لتلك التراكيب فكان هناك التفسير التحليلي، والمقارن، والاجمالي، والموضوعي، غير أن الأول والأخير هو الذي اختص بالدراسة هنا.

وفي هذا الفصل التمهيدي سأتحدث عن هذين النوعين من التفسير، وكذلك عن التعريف بسورة الفرقان التي فيها موضوع بحثي، وينقسم إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: ماهية التفسير التحليلي.

المبحث الثاني: ماهية التفسير الموضوعي.

المبحث الثالث: مدخل إلى سورة الفرقان.

ماهية التفسير التحليلي:

يتكون مصطلح "التفسير التحليلي" من جزأين ركبا تركيبا إضافيا، فلابد من تعريف الجزأين أولا، ثم المركب منهما.

تعريف التفسير:

فالتفسير لغة: هو بيان الشيء وإيضاحه.[1]

وقال الراغب الأصفهاني[2]: هو إظهار المعنى المعقول، والتفسير قد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها[3] ومنه قوله تعالى:﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الفرقان: 33] أي: أحسن توضيحا وبيانا.

وقيل في لسان العرب: الفَسْر: كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل[4].

ومن خلال هذين التعريفين يمكن أن نخلص إلى أن التفسير لغة هو **الاظهار والايضاح والكشف والبيان.**

التفسير في الاصطلاح: وإذا تتبعنا أقوال العلماء وجدناهم قد عرفوه بتعاريف عدة يمكن إرجاعها كلها إلى واحد منها، فهي وإن كانت مختلفة من جهة اللفظ إلا أنها متحدة من جهة المعنى وما تهدف إليه.

وعرفه الزركشي[5] في مقدمته بأنه: "علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه".[6]

---

[1] معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ج4، ص504، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

[2] هو الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الأصبهاني) المعروف بالراغب، ولد سنة 502هـ، ، وهو أديب، من الحكماء العلماء، من أهل أصبهان سكن بغداد، وهو أحد أعلام العلم، ومشاهير الفضل متحقق بغير فن من العلوم وله تصانيف كثيرة: الذريعة إلى مكارم الشريعة، والمفردات في غريب القرآن وغيرهم، توفي سنة 1108م، (معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج3، ص1156).

[3] المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ص380، ط: 1، دار المعرفة، بيروت لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

[4] لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ج5، ص55، ط: 3، دار صادر – بيروت1414 هـ.

[5] هو محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي بدر الدين المنهاجي، ورحل إلى دمشق وحلب فتفقه بهما، وسمع من كثير من الشيوخ، وأقبل على التصنيف فكتب بخطه ما لا يحصى لنفسه ولغيره، ومن تصانيفه: تخريج أحاديث الرافعي، والبرهان في علوم القرآن من أعجب الكتب وأبدعها ، ذكر فيه نيفاً وأربعين علماً من علوم القرآن وتخرج به جماعة، مات رحمه الله في الثالث من رجب سنة 794هـ، (إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر العسقلاني، ج1، ص446).

[6] البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، ج1، ص13، القاهرة: دار التراث، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

وعرفه الزرقاني[1] بأنه: "علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية".[2]

والتحليلي لغة: من مادة "حلل": حل العقدة فتحها فانْحلت.[3]

والتحليل يطلق على إرجاع الشيء إلى عناصره، وتحليل الجملة: بيان أجزائها ووظيفة كل منها.[4]

أما في الاصطلاح: فالمراد به " تفكيك الكلام على الآية لفظة لفظة، والكلام على ما فيها من معانٍ وإعراب وأحكام وغيرها، ثم الانتقال إلى ما بعدها وهكذا".[5]

التفسير التحليلي (كمصطلح مركب): يعد التفسير التحليلي مصطلحا معاصرا، لكنه من ناحية العلم والبحث فهو قديم، ويمكن ملاحظة هذا من خلال تفسير الطبري وابن كثير ومن تابعهم في هذا الفن، غير أن هذا المصطلح يعد تقسيما فنيا لكتب التفسير.

فالتفسير التحليلي هو الأسلوب الذي يتتبع فيه المفسر الآيات حسب ترتيب المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن الكريم كله، ويبين ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها ووجوه البلاغة فيها وأسباب نزولها وأحكامها ومعناها ونحو ذلك.[6]

ويمكننا أن نقول : التفسير التحليلي هو منهج في تفسير القرآن الكريم؛ بأن يتتبع المفسر الآيات حسب ترتيب المصحف سواء تناول جملة من الآيات متتابعة أو سورة كاملة أو القرآن الكريم كله، ويبين ما يتعلق بكل آية من معاني ألفاظها ووجوه البلاغة فيها وإعرابها وأسباب نزولها ـ إن وجدت ـ وما يتعلق بها من أحكام وحكم.

---

[1] هو محمد عبد العظيم الزرقاني، ولد سنة 1367هـ، وهو من علماء الأزهر بمصر، حيث تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث، من كتبه: مناهل العرفان في علوم القرآن و بحث في الدعوة والإرشاد، توفي رحمه الله بالقاهرة سنة 1948م، (الاعلام للزركلي، ج6، ص210).

[2] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج2، ص6، (ط: 1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1415هـ ـ 1995م)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي.

[3] مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، ص63، (لا.ط، بيروت: دائرة المعاجم، 1986م).

[4] مذكرة في مادة التفسير التحليلي، عبد العزيز شلي، ص10، جامعة الأمير عبد القادر الاسلامية، السنة الجامعية 2013 . 2014م.

[5] أرشيف ملتقى أهل التفسير8، مساعد الطيار، ص1804.

[6] بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ص57، (لا.ط، لا.م: مكتبة التوبة. د.ت).

أهمية التفسير التحليلي:

إن المنهج التحليلي منهج يغوص في أعماق النص القرآني كلمة وسببا ومناسبة وقراءة وإعرابا وبلاغة ومعنى واستخلاصا للفوائد والهدايات، فهذا الأسلوب يوصل الباحث إلى الهدف الذي يسعى من أجله، وهو كشف اللثام عما استصعب فهمه من النص وإزالة الغموض وما إلى ذلك عبر خطوات منهجية.

خطوات التفسير التحليلي:

من هنا نستخلص هذه الخطوات :

أولا: بين يدي السورة؛ اسمها، ترتيبها، مكيتها ومدنيتها، موضوعاتها.

ثانيا: مناسبات السورة؛ افتتاحية السورة لخاتمة ما قبلها، افتتاحية السورة لخاتمتها، موضوع السورة لما قبلها وما بعدها، خاتمة السورة لافتتاحية ما قبلها، مناسبة الآيات فيما بينها.

ثالثا: أسباب النزول إن وجدت.

رابعا: القراءات في السورة؛ المتواترة، والشاذة، وأثرهما في التفسير.

خامسا: تحليل الكلمات؛ اشتقاقها، تصريفها.

سادسا: إعراب الكلمات.

سابعا: السر البلاغي في السورة.

ثامنا: تحليل الآيات؛ سرد الأقوال، المقارنة بينها، كذلك ترجيح أحدها.

تاسعا: الفوائد المستنبطة من النص القرآني المدروس من أحكام عقائدية وفقهية وتربوية والأحكام اللغوية والعلمية؛ وذلك بالاستنباط الدقيق من النص في مختلف العلوم والفنون الشرعية واللغوية والتربوية والعلمية.[1]

[1] التفسير التحليلي تعريفه، خطواته العلمية المنطقية وأنموذج عليه، هاشم عبد ياسين المشهداني، كلية الآداب: الدامعة العراقية، مجلة مداد الآداب، العدد الثالث، ص من 249 إلى 262.

ماهية التفسير الموضوعي:

يعد التفسير الموضوعي كذلك مصطلحا مركبا تركيبا وصفيا، فلابد من تعريف الجزأين أولا ثم المركب منهما، غير أن الجزء الأول قد سبق تعريفه.

تعريف الموضوعي:

الموضوعي لغة: نسبة إلى الموضوع، والموضوع مشتق من الوضع[1]؛ وهو جعل الشيء في مكان ما سواء كان ذلك بمعنى الحط والخفض أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان[2] يقال: ناقة واضعة إن رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، وقيل: وضعت تضع وضيعة فهي واضعة، وكذلك موضوعة يتعدى ولا يتعدى[3]، وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به.

وفي الاصطلاح: قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة في العقيدة أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم.[4]

التفسير الموضوعي (كمصطلح مركب): يعد هذا مصطلحا معاصرا كذلك؛ فقد ظهر في القرن الرابع عشر عندما قررت هذه المادة ضمن مواد قسم التفسير بكلية أصول الدين بالجامع الأزهر غير أن لَبِنات هذا النوع من التفسير وعناصره الأولى كانت موجودة منذ عصر التنزيل في حياة رسول الله ﷺ.[5]

وكان للتفسير الموضوعي تعاريف عدة:

فقد عرف بأنه: "هو الذي يجمع فيه المفسر الآيات الكريمة المتعلقة بموضوع واحد، على مستوى القرآن كله، أو مجموعة من سوره ويؤلف منها موضوعا واحدا، مترابط العناصر".[1]

---

[1] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص33، (ط: 3، الأردن: دار النفائس، 2012م. 1433هـ).

[2] المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، ص20، (ط:1، القاهرة: كلية أصول الدين، 1406هـ. 1986م).

[3] القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ص771، (ط:8، بيروت: مؤسسة الرسالة، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، 1426 هـ - 2005 م).

[4] مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص15. 16، (ط:4، دار القلم، 1426هـ - 2005م).

[5] ينظر: المرجع السابق، ص16.

كذلك عرف بأنه: " بيان الآيات القرآنية ذات الموضوع الواحد وإن اختلفت عباراتها وتعددت أماكنها مع الكشف عن أطراف ذلك الموضوع حتى يستوعب المفسر جميع نواحيه ويلم يكل أطرافه وإن أعوزه ذلك لجأ إلى التعرض لبعض الأحاديث المناسبة للمقام لتزيدها إيضاحا وبيانا".[2]

والواضح من هذين التعريفين أنه يغلب فيهما الشرح للمنهج وطريقة البحث.

غير أن تعريف "مصطفى مسلم" يعد تعريفا مختصرا حيث قال: " هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر".[3]

أهمية التفسير الموضوعي:

التفسير الموضوعي هو تفسير هذا العصر وتفسير المستقبل أيضا، وله أهمية كبرى لدى المسلمين، وحاجتهم إليه ماسة، وتكمن الأهمية في أنه وسيلة ضرورية منهجية لتقديم القرآن تقديما علميا، حيث يعد من العوامل الأساسية في حل مشكلات المسلمين المعاصرة وتقديم الحلول لها على أساس القرآن، فهو أيضا يعيد توثيق الصلة القرآنية لمختلف العلوم الشرعية، ويعرضها على أساس توجيهات وحقائق وما إلى ذلك.[4]

خطوات التفسير الموضوعي:

من هذا كله يمكن تحديد منهج هذا العلم على النحو التالي:

أولا: اختيار الموضوع.

ثانيا: جمع الآيات التي تدور حول هذا الموضوع وحصرها.

ثالثا: ترتيب الآيات على حسب نزولها، مع الوقوف على أسباب نزولها،

رابعا: التعرض لمعرفة مناسبات هذه الآيات في سورها.

خامسا: دراسة الآيات من الناحية الدلالية والنصية.

---

[1] المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، ص17.

[2] التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، أحمد السيد الكومي ومحمد أحمد يوسف القاسم، ص16. 17، (ط:1، لا.م: لا.ن، 1402هـ. 1982م).

[3] مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، ص17.

[4] التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص56.

سادسا: إسقاطها على الواقع.[1]

الفرق بين التفسير التحليلي والتفسير الموضوعي:

يتجلى الفرق بين التفسير التحليلي والتفسير الموضوعي في نقاط عدة، وهذا الاختلاف في المنهج إنما هو من باب اختلاف التنوع لا التضاد؛ ذلك أن مجال البحث والغاية واحدة وهو بيان مراد كلام الله، فمن بين هذه الفوارق نذكر أهمها:

أولا: في التفسير التحليلي ينظر المفسر في القرآن وسوره وآياته، ويبدأ منه وينتهي إليه.

أما في التفسير الموضوعي يبدأ من الواقع الذي يعيش فيه، ثم يتجه إلى القرآن ليتفاعل معه.

ثانيا: في التفسير التحليلي قد يعالج المفسر عدة مواضيع بحسب ما يرد في الآيات والسور التي يتناولها.

أما في التفسير الموضوعي لا يعتني المفسر إلا بالآيات التي قام بجمعها من السور في الموضوع الواحد.

ثالثا: في التفسير التحليلي يتعرض المفسر للآيات والألفاظ القرآنية بالشرح والتحليل، بما يتفق مع منهجه.

أما في التفسير الموضوعي يستفيد المفسر مما قام به في التفسير التحليلي؛ إذ يجب عليه أن يكون على إحاطة ودراية بالمدلولات التفصيلية للآيات، ويحاول المفسر الموضوعي الجمع بين هذه المدلولات والتنسيق بينها.[2]

من خلال هذا كله تكون العلاقة بين التفسيرين متكاملة؛ فالتفسير التحليلي لا يستغنى عن جميع التفاسير الأخرى.

---

[1] المرجع نفسه، ص34.

[2] المرجع السابق، ص48 . 49.

مباحث علوم القرآن المتعلقة بسورة الفرقان:

سأذكر في هذا المبحث التعريف بسورة الفرقان، ثم ذكر أنواع المناسبات، مرورا إلى ذكر أغراضها وبيان المقصد منها ، لأنتهي إلى ما كان فيها من الناسخ والمنسوخ.

التعريف بالســـورة:

قال السيوطي: ثبت أن جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار.[1]

اسم السورة:

قد يكون للسورة القرآنية اسما واحدا أو أسماء متعددة، فمن بين هذه السور سورة الفرقان التي انفردت باسم واحد وهو الذي ثبت في الصحيحين عن عمر بن الخطابﷺ رضي الله عنه قال: «سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره[2] في الصلاة فتصبرت حتى سلم فلببته[3] بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله ﷺ: أرسله اقرأ يا هشام. فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت. ثم قال: اقرأ يا عمر. فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه».[4]

ثم علق عليه ابن عاشور[5] بقوله: "ولا يعرف لهذه السورة اسم غير هذا، والمؤدِّبون من أهل تونس يسمونها "تبارك الفرقان" كما يسمون "سورة الملك" تبارك، وتبارك الملك".[6]

---

[1] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ص119، (ط:1 ؛لا.م: مؤسسة الرسالة، 1429هـ 2008م)،تحقيق شعيب الأرنؤوط.

[2] أساوره: من ساور سوارا مساورة، أي أخذ برأسه وتناوله، وفي الحديث: أساوره: أُواثِبُه وأُقَاتِلُه، (تاج العروس، الزبيدي).

[3] فلببته: من اللب أي لببت فلانا إذا جمعت ثيابه عند صدره ونحره، ثم جررته، (لسان العرب، ابن منظور).

[4] رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم الحديث (4706)، والإمام مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، رقم الحديث (818).

[5] هو محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد سنة 1879م، عين عام 1932م شيخا للإسلام مالكيا، له مصنفات مطبوعة، من أشهرها: مقاصد الشريعة الإسلامية، و أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، و التحرير والتنوير في تفسير القرآن، و وغيرها، (الأعلام للزركلي، ج6، ص174).

[6] التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج18، ص313، (لاط، تونس: الدار التونسية ، 1984 م).

وجه التسمية:

سميت سورة الفرقان بهذا الاسم لافتتاحها بالثناء على الله عزّ وجلّ الذي نزل الفرقان، هذا الكتاب المجيد على رسوله محمد ﷺ، فهو النعمة العظمى، الذي فرق الله به بين الحق والباطل، وجعله نذيرا للعالمين: الجن والإنس، من بأس الله تعالى[1]، كذلك لوقوع لفظ الفرقان فيها.

ترتيب السورة وعدد آياتها:

سورة "الفرقان" هي السورة الثانية والأربعون في ترتيب النزول ، نزلت بعد سورة يس وقبل سورة فاطر[2]، وهي سبع وسبعون آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف[3]، ومجموع فواصل آياتها (لا) على اللاَّم منها آية واحدة: ﴿ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾[4]، وهي السورة الخامسة والعشرون في ترتيب المصحف[5].

مكيتها ومدنيتها:

لقد اختلف في سورة الفرقان بين مكيتها ومدنيتها، حيث أن الجمهور اتفقوا على مكيتها، لكن روي عن ابن عباس ﷺ أنه استثنى منها ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ...ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾[الفرقان: 68. 69. 70].

والصحيح عنه ﷺ أن هذه الآيات الثلاث مكية كما في صحيح البخاري[6] في تفسير الفرقان: عن القاسم بن أبي بزة أنه سأل سعيد بن جبير: هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة؟ فقرأت عليه: ﴿ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ ﴿٦٨﴾ ﴾.

فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي؟ فقال: هذه مكية نسختها" آية مدنية التي في سورة النساء. يريد قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: 93].

---

[1] التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، ج19، ص5، (ط:2، دمشق: دار الفكر المعاصر، 1418 ه).

[2] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج18، ص314.

[3] البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني، ص194، (ط:1، الكويت: مركز المخطوطات والتراث، 1414هـ- 1994م)، تحقيق: غانم قدوري الحمد.

[4] بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، ج1 ص340، (لاط، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1416 هـ ـ 1996 م)، تحقيق: محمد علي النجار..

[5] المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان، مصطفى مسلم، ص58، (ط1، دمشق: دار القلم، 1427هـ. 2006م).

[6] رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلِهِ {وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} [الفرقان: 68]، رقم الحديث (4484).

ثم علق ابن عاشور قائلا: "وأسلوب السورة وأغراضها شاهدة بأنها مكية".[1]

وعن الضحاك: أنها مدنية إلا الآيات الثلاث من أولها إلى قوله: ﴿ وَلَا نُشُورًا ۝٣ ﴾[2]، وهو قول شاذ لم ينقل عن غيره.[3]

أنواع المناسبات في السورة:

يعد علم المناسبات من العلوم التي تخدم السورة القرآنية، وذلك من عدة جوانب سواء كانت من؛ الافتتاحية، الخاتمة، الآيات فيما بينها، أو الموضوع، وبما أن دراستي ستكون على المقطع الأخير لهذه السورة، فسأذكر كذلك مناسبة هذا الأخير بالنسبة للمحور، وقبل كل شيء لابد من تعيين محور السورة.

محور السورة:

يدور محور السورة حول إثبات صدق القرآن، وصحة الرسالة المحمدية[4]، لكونه ﷺ مبعوثا إلى الناس كافة ينذرهم ما بين أيديهم وما خلفهم.[5]

المناسبة بين افتتاحية سورة الفرقان وخاتمة سورة النور:

قال البقاعي[6]: "لما ختم سبحانه سورة النور بسعة الملك، وشمول العلم، وتعظيم الرسول، والتهديد لمن تجاوز الحد، افتتح سورة الفرقان بمثل ذلك على وجه – مع كونه أضخم منه – هو برهان عليه".[7]

---

[1] التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور، ج18، ص314.

[2] الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ص39.

[3] المعجزة والرسول، مصطفى مسلم، ص58.

[4] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص6.

[5] التحرير والتنوير ، الطاهر ابن عاشور، ج18، ص314.

[6] هو برهان الدين إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط البقاعي الشافعي المحدث المفسر الإمام العلامة المؤرخ، ولد سنة 809هـ، كما اشتغل بالنحو والفقه وغيرهما، وصنف تصانيف عديدة من أجلها المناسبات القرآنية، فقد كان من أعاجيب الدهر وحسناته وتوفي بدمشق في رجب عن 76 سنة، أي سنة 885هـ، (شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي، ج9، ص509).

[7] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج5، ص291، (لا.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ – 1995 م)، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي.

المناسبة بين افتتاحية سورة الفرقان وخاتمتها:

لما استوعبت السورة أغراض التنويه بالرسالة والقرآن ، وما تضمنته من توحيد الله ، ومن صفة كبرياء المعاندين وتعلّلاتهم ، وأحوال المؤمنين ، وأقيمت الحجج الدامغة للمعْرضين ، ختمت بأمر الله رسولَه ﷺ أن يخاطب المشركين بكلمة جامعة يُزال بها غرورهم وإعجابهم بأنفسهم وحسبانهم أنهم قد شَفوا غليلهم من الرسول بالإعراض عن دعوته وتوبّخهم في مجادلته ؛ فبيّن لهم حقارتهم عند الله تعالى وأنه ما بعث إليهم رسوله وخاطبهم بكتابه إلا رحمةً منه بهم لإصلاح حالهم وقطعاً لعذرهم فإذْ كذّبوا فسوف يحلّ بهم العذاب.[1]

المناسبة بين خاتمة سورة الفرقان وافتتاحية سورة الشعراء:

لما فرق سبحانه في تلك بين الدين الحق والمذهب الباطل... وختم بشديد الإنذار لأهل الإدبار... الواضح في نفسه أنه معجز، وأنه من عند الله، وأن فيه كل معنى جليل، الفارق لكل مجتمع ملتبس بغاية البيان، فصح أنه كما ذكر في التي قبلها، فإن الإبانة هي الفصل والفرق...[2]

مناسبة سورة الفرقان لسورة النور وسورة الشعراء من ناحية الموضوع:

مناسبة سورة الفرقان لسورة النور:

لما تضمنت سورة النور بيان كثير من الأحكام كحكم الزنا ورمي الزوجات به ... كان في مجموع هذا فرقانا يعتضد به الإيمان ولا ينكره مقر بالرحمن، يشهد لرسول الله ﷺ بصحة رسالته ويوضح مضمن قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: 61].[3]

[1] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج19، ص85.

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج14، ص3.

[3] البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، ص260، (لاط، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 1410 هـ - 1990 م)، تحقيق: محمد شعباني.

مناسبة سورة الفرقان لسورة الشعراء:

ذكر صاحب التفسير المنير: أن مناسبة هذه سورة الشعراء لسورة الفرقان تتضح في كونها تفصيل لما أجمل في الفرقان من قصص الأنبياء بحسب ترتيبها المذكور في تلك السورة، فبدأ بقصة موسى، وهذا سر لطيف يجمع بين السورتين. وكان في الفرقان إشارة إلى قرون بين ذلك كثيرة، ففصلت هنا قصة إبراهيم، وقوم شعيب، وقوم لوط.[1]

مناسبة خاتمة السورة بمحورها:

خاتمة السورة اشتملت على صفات عباد الرحمن بمثابة النتيجة لمحور السورة ... كل ذلك تسرية وتسلية للرسول ﷺ، لأن من أثمرت جهوده هذا النتاج الطيب عليه أن يتحمل المشاق ويصبر على الشدائد لتحقيق هذه الغاية النبيلة.[2]

أغراض السورة ومقصدها:

قبل الحديث عن أغراض السورة ومقصدها، لابد أن نبين الظروف التي نزلت فيها، فسورة الفرقان نزلت في السنة العاشرة من البعثة، وتكون من السور التي نزلت بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء. وهي فترة تميزت بقسوة مشركي مكة وعنفهم ورغبتهم في القضاء على الدعوة بكل سبيل. ويعتبر هذا من ميزة السور المكية.

أغراض السورة:

قال ابن عاشور: اشتملت هذه السورة على الابتداء بتمجيد الله تعالى وإنشاء الثناء عليه، ووصفه بصفات الإلاهية والوحدانية فيها، وأدمج في ذلك التنويه بالقرآن، وجلال مُنزله، وما فيه من الهُدى، وتعريض بالامتنان على الناس بهديه وإرشاده إلى اتقاء المهالك، والتنويه بشأن النبي ﷺ وأقيمت هذه السورة على دعائم ثلاث:

[1] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص119.

[2] المعجزة والرسول، مصطفى مسلم، ص193.

الأولى منها: إثبات أن القرآن منزل من عند الله ، والتنويهُ بالرسول المنزل عليه ﷺ ودلائل صدقه، ورفعة شأنه عن أن تكون له حظوظ الدنيا، وأنه على طريقة غيره من الرسل ، ومن ذلك تلقى قومه دعوته بالتكذيب .

الدعامة الثانية: إثبات البعث والجزاء، والإنذار بالجزاء في الآخرة، والتبشير بالثواب فيها للصالحين، وإنذار المشركين بسوء حظهم يومئذٍ، وتكون لهم الندامة على تكذيبهم الرسول وعلى إشراكهم واتباع أيمة كفرهم .

الدعامة الثالثة: الاستدلال على وحدانية الله، وتفرده بالخلق، وتنزيهه عن أن يكون له ولد أو شريك، وإبطال إلاهية الأصنام ، وإبطال ما زعموه من بُنوة الملائكة لله تعالى .

وافتتحت في آيات كل دعامة من هذه الثلاث بجملة (تبارك الذي) الخ.[1]

وفي الأخير ذكر أن يتصف بخصال المؤمنين أتباع النبي ﷺ حتى تستكمل السورة أغراض التنويه بالقرآن ومن جاء به ومن اتبعوه كما أشار إليه في الإلمام بأهم أغراضها.[2]

مقصد السورة:

ومقصدها: إظهار شرف الداعي ﷺ بإنذار المكلفين عامة بما له سبحانه من القدرة الشاملة، المستلزم للعلم التام، المدلول عليه بهذا القرآن المبين، المستلزم لأنه لا موجود على الحقيقة سوى من أنزله فهو الحق، وما سواه باطل.[3]

[1] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج18، ص314.

[2] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج19، ص66.

[3] مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، ج2، ص317، (ط:1، الرياض: مكتبة المعارف، 1408 هـ - 1987 م).

الناسخ والمنسوخ:

الناسخ والمنسوخ علم يتوقف عليه جواز تفسير كتاب الله تعالى ليعرف الحلال من الحرام.[1]

ذُكِر أن في سورة الفرقان فيها من المنسوخ آيتين :

أولاهما: قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [الفرقان: 63].

حيث قال ابن حزم[2]: أن هذه الآية منسوخة في حق الكفار[3] بآية السيف[4]، وبعض معناها محكم في حق المؤمنين، غير أن ابن الجوزي[5] ذكر أن الحسن قال في تفسيره لهذه الآية: لا يجهلون على أحد وإن جهل عليهم حلموا، وهذه الآية محكمة عند الجمهور، وقد زعم قوم: أن المراد بها أنهم يقولون للكفار، ليس بيننا وبينكم غير السلام، وليس المراد السلام الذي هو التحية، وإنما المراد بالسلام التسليم، أي: تسلما منكم ومتاركة لكم، كما يقول: براءة منك؛ أي: لا التبس بشيء من أمرك.

---

[1] ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم أبو القاسم، شرف الدين ابن البارزي، ص19، (ط:4، لا م، مؤسسة الرسالة، 1418هـ/ 1998م)، تحقيق: حاتم صالح الضامن.

[2] هو أبو محمد، علي ابن أحمد بن سعيد بن حزم، الاندلسي القرطبي اليزيدي، الفقيه الحافظ، المتكلم، الاديب، الوزير الظاهري، ولد بقرطبة سنة 384هـ، حيث أخذ العلم من شيوخ عدة، كما روى عنه الكثير، فكان صاحب التصانيف المتعددة من بينها: الناسخ والمنسوخ، توفي ابن حزم بقريته وذلك ليومين بقيا من شعبان سنة 456هـ، (تذكرة الحفاظ، الذهبي، ج3، ص231).

[3] الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ابن حزم الظاهري، ص49، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1406 هـ - 1986 م)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري.

[4] آية السيف: قَالَ تَعَالَى:﴿ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [التوبة: 5]، على الأرجح.

[5] هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الإمام الحافظ أبو الفرج بن الجوزي البكري شيخ العراق وإمام الآفاق، تلا بالعشر على أبي بكر محمد بن الحسين المزرقي، كما له عدة مؤلفات منها: زاد المسير في التفسير، المغني في علوم القرآن، وتذكرة الأريب في اللغة، الموضوعات، الضعفاء، المنتظم في التاريخ، الناسخ والمنسوخ، وغير ذلك. ، توفي رحمه الله سنة 597هـ، (غاية النهاية في طبقات القراء، ابن حجر العسقلاني، ج1، ص375).

ثم نسخت بآية السيف، وهذا باطل، لأن اسم الجاهل يعم المشرك وغيره، فإذا خاطبهم مشرك، قالوا: السداد والصواب في الرد عليه، وحسن المحاورة في الخطاب لا ينافي القتال، فلا وجه للنسخ[1].

ثانيهما: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ ﴾ [الفرقان: 68 – 69]

للعلماء فيها قولان:

القول الأول: أنها منسوخة، ولهؤلاء في ناسخها ثلاثة أقوال:

الأول: أنه قوله: ﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا ٩٣ ﴾ [النساء:93]، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. والأكثرون على خلافه في أن القتل لا يوجب الخلود.

وقال أبو جعفر النحاس[2]، من قال: إن قوله: وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الآيات نسخها قوله: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فمعناه نزل بنسختها والآيتان واحد، لأن هذا لا يقع فيه ناسخ ولا منسوخ، لأنه خبر.[3]

والثاني: قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ [النساء: 48] الآية وهذا لا يصح، لأن الشرك لا يغفر إذا مات المشرك عليه.

والثالث: أنه نسخت بالاستثناء في قوله: إِلَّا مَنْ تابَ وهذا باطل، لأن الاستثناء ليس بنسخ.

والقول الثاني: أنها محكمة، والخلود إنما كان لانضمام الشرك إلى القتل والزنا.[4]

ولابد من التنبيه عن حقيقتين غفل عنهما مدعو النسخ على الآية:

---

[1] نواسخ القرآن = ناسخ القرآن ومنسوخه، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ص177، (ط:1، بيروت: شركه أبناء شريف الأنصاري، 1422 هـ – 2001 م)، تحقيق: أبو عبد الله العاملي السّلفي الداني بن منير آل زهوي.

[2] هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحاس، النحوي المصري؛ كان من الفضلاء، وله تصانيف مفيدة منها: تفسير القرآن الكريم، وكتاب إعراب القرآن، وكتاب الناسخ والمنسوخ وغيرهم، فكان للناس رغبة كبيرة في االأخذ عنه، فنفع وأفاد وأخذ عنه خلق كثير، وتوفي بمصر يوم السبت لخمس خلون من ذي الحجة سنة 338هـ، رحمه الله تعالى، (وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج1، ص99).

[3] الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النحاس، ص346، (ط:1، الكويت: مكتبة الفلاح، 1408هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام محمد.

[4] نواسخ القرآن، ابن الجوزي، ص177.

ـ أما أولى هاتين الحقيقتين فهي أن الآية خبر مؤكد، والأخبار لا تقبل النسخ.

ـ وأما الثانية فهي أن الآية لا تشرع حكما تكليفيا، يرتفع إذا هي نسخت فلا يجوز العمل به، إنما تتواعد قاتل المؤمن عمدا بالخلود في النار، وغضب الله عليه، ولعنته إياه، وبالعذاب العظيم الذي أعده الله له.[1]

والخلاصة من هذه الأقوال:

إن الآية التي في سورة النساء تعتبر خاصة بالتائبين، أما التي في سورة الفرقان كانت في أهل الشرك، وأن قول ابن الجوزي فيها على أن الله أنزلها محكمة ولم ينسخها.

[1] النسخ في القرآن الكريم دراسة تشريعية تاريخية نقدية، مصطفى زيد، ص704، (ط:3، مصر: دار الوفاء، 1408هـ. 1987م).

الفصل الأول: الدراسة التحليلية للآيات من الآية 63 إلى الآية 77.

المبحث الأول: أسبـــاب النـــزول وأوجه القراءات.

المطلب الأول: أسباب النزول.

المطلب الثاني: أوجه القراءات.

المبحث الثاني: شرح المفردات والأوجه النحوية والبلاغية.

المطلب الأول: شرح المفردات.

المطلب الثاني: الأوجه النحوية.

المطلب الثالث: الأوجه البلاغية.

المبحث الثالث: تحليـــــــــــــــل الآيـــــــــات.

أسباب النزول وأوجه القراءات:

أسباب النزول:

قال ابن تيمية:" معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية؛ فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[1]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ ﴾ [الفرقان: 68 . 70].

أولا: سبب النزول.

1-أخرج البخاري[2] ومسلم[3] والنَّسَائِي[4] عن عبد اللَّه بن عبَّاسٍ ﷺ قال: إن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارةً فنزل: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ ﴾ ونزل:﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزمر: 53].

وفي لفظ لمسلم[5] والبخاري[6] وأبي داود[7] عنه ﷺ قال: نزلت هذه الآية بمكة: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ إلى قوله ﴿ مُهَانًا ﴾ فقال المشركون: وما يغني عنا الإسلامُ وقد عدلنا باللَّه، وقد قتلنا النفس التي حرم الله وأتينا الفواحش؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا ﴾

---

[1] مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، ج13، ص339، (لا.ط، السعودية: مجمع الملك فهد، 1416هـ، 1995م)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

[2] رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾، رقم الحديث (4532).

[3] رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج، وقم الحديث (122).

[4] رواه النسائي في الكبرى، كتاب التفسير، باب ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾، رقم الحديث (11385).

[5] رواه مسلم، كتاب التفسير، رقم الحديث (3023).

[6] رواه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، رقم الحديث (3642).

[7] رواه أبي داود، كتاب الفتن والملاحم، باب في تعظيم قتل المؤمن، رقم الحديث (4273).

إلى آخر الآية.

2 – أخرج البخاري[1] وأحمد[2] ومسلم[3] وأبو داود[4] والنَّسَائِي[5] عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال سألت أو سئل رسول الله ﷺ: أيُّ الذنب عند الله أكبر؟ قال: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك) قلت: ثم أيٌّ؟ قال: (ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك) قلت: ثم أيٌّ؟ قال: (أن تزاني بحليلة جارك) قال: ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول الله ﷺ: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ ﴾.

وفي لفظ للترمذي[6] وأحمد[7] عنه ﷺ: وتلا هذه الآية: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ ﴾ ولم يقل: ونزلت.

3 – وأخرج ابن جرير[8] عن سعيد بن جبير، قال: نزلت ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾... إلى آخر الآية في وحشي وأصحابه، قالوا: كيف لنا بالتوبة، وقد عبدنا الأوثان، وقتلنا المؤمنين، ونكحنا المشركات، فأنزل الله فيهم ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ إلى آخر الآية فأبدلهم الله بعبادة الأوثان عبادة الله، وأبدلهم بقتالهم مع المشركين قتالا مع المسلمين للمشركين، وأبدلهم بنكاح المشركات نكاح المؤمنات.[9]

---

[1] رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾، رقم الحديث (4483).

[2] رواه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود، رقم الحديث (3612).

[3] رواه مسلم، كتاب الايمان، باب كون الشرك أكبر الذنوب، رقم الحديث (86).

[4] رواه أبو داود، كتاب الطلاق، باب في تعظيم الزنا، رقم الحديث (2310).

[5] رواه النسائي، كتاب التفسير، رقم الحديث (11304).

[6] رواه الترمذي، كتاب أبواب التفسير، باب في سورة الفرقان، رقم الحديث (3183).

[7] رواه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود، رقم الحديث (4143).

[8] جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج19، ص310، (ط: 1، لا. م، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

[9] الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، ج6، ص276، (لا.ط، بيروت: دار الفكر، د.ت).

دراسة السبب[1]:

هكذا جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة. وقد أورد جمهور المفسرين هذه الأحاديث عند تفسيرها، واقتصروا على ذلك منهم؛ الطبري، القرطبي، والبغوي[2] وابن عطية[3] وابن كثير[4] وابن عاشور[5].

قال الطبري:" وقد ذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول ﷺ من أجل قوم من المشركين أرادوا الدخول في الإسلام، ممن كان منه في شركه هذه الذنوب، فخافوا أن لا ينفعهم مع ما سلف منهم من ذلك إسلام، فاستفتَوْا رسول الله ﷺ في ذلك، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية، يعلمهم أن الله قابل توبة من تاب منهم" ثم ساق الأحاديث الثلاثة.[6]

غير أن القرطبي يرى أن سبب نزول هذه الآية موافقة لحديث ابن عباس رضي الله عنه والتفصيل في ذلك يتضح فيما قاله: أن ظاهر هذه الآية نزلت بسبب هذا الذنب الذي ذكره النبي ﷺ وليس كذلك؛ لأن الترمذي قد روى هذا الحديث وقال فيه: وتلا النبي ﷺ هذه الآية (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ) بدل فأنزل اللَّه وظاهره: أنه ﷺ قرأ بعد ذكر هذا الحديث ما قد كان أُنزل منها، على أن الآية تضمنت ما ذكره في حديثه بحكم عمومها).[7]

والظاهر – والله أعلم – أن قول القرطبي صحيح ويؤيده أمران:

---

[1] المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، ج2، ص761. 762، (ط:1، الدمام: دار ابن الجوزي، 1427 هـ – 2006 م).

[2] معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج3، ص475، (ط:1، بيروت: دار إحياء التراث العربي 1420هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي.

[3] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج4، ص220، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

[4] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص113. 114، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1429هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين.

[5] التحرير والتنوير، الطاهر ابن عاشور، ج19، ص74.

[6] جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج19، ص304.

[7] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13، ص76، (ط:1، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ – 1964 م)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

الأول: أن السورة مكية عند جمهور العلماء، والشرك كان واسعاً في الناس ذلك الوقت، وهذا يوافق قول ابن عبَّاسٍ: إن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا ... الحديث.

فبين الحديث وسياق الآيات قدر من التطابق والمماثلة.

أما حديث ابن مسعود فليس كذلك لأنه حصر القتل في الولد خشية الطعام وحصر الزنا بحليلة الجار، وهذا الحصر لا يوافق العموم في الآية.

الثاني: أنه جاء في حديث ابن مسعود: (ونزلت هذه الآية تصديقاً لقول رسول اللَّه ﷺ) وبيان ذلك:

أن يقال: إن القرآن إما أن ينزل ابتداءً أو على سبب وليس ثمةَ قسم ثالث اسمه نزول القرآن لتصديق الرسول لأنه صلى الله عليه وسلم ينطق عن اللَّه، كما قال ﷻ:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: 3 ـ 4]. فكيف يُصدِّق هذا بهذا؟

فإن قال قائل: الفائدة من هذا النزول هو التوكيد.

فالجواب: أن يقال: الأصل في الكلام الشرعي، إذا كان دائراً بين التوكيد والتأسيس أن يحمل على التأسيس لأنه يحمل معنى زائداً على مجرد التوكيد.

وهذا بعينه يتحقق في حديث ابن عباس، دون ابن مسعود ﷺ. الذي لا يُفيد جديداً.

غير أن الحديث الثالث سنده ضعيف وفيه علتان:

أن جعفر بن أبي المغيرة ليس بالقوي في سعيد بن جبير، وأن في الحديث إرسال[1].

النتيجة:

فاستنتاجي هنا يتوافق مع ما ذكره الدكتور خالد المزيني قائلا: أن سبب نزول الآيات الكريمة حديث ابن عباس ﷺ لموافقته سياق القرآن وصحة سنده، وتصريحه بالنزول، وموافقته لأقوال المفسرين[2]، والواضح من حديثه ﷺ أيضا أن القصة كانت سبب لنزول آية الزمر[3] كذلك.

---

[1] ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، مج3، ص18، (ط:1، لا.م: دار ابن الجوزي، 1425هـ).

[2] المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، ج2، ص764.

[3] **قال تعالى:** ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ [الزمر: 53].

القراءات في هذا المقطع.

وسأكتفي في هذا بالقراءات المتواترة فقط، وذلك لعدم وجود الشواذ في هذا المقطع.

ـ قال تعالى: ﴿ يَقۡتُرُواْ ﴾: لقد اختلف في قراءتها بحيث:

قرأ البصريان[1]، وابن كثير بفتح الياء وكسر التاء، وحجتهم أنها أخذت من: قتر يقتر مثل: ضرب يضرب.

وقرأ المدنيان[2]، وابن عامر بضم الياء وكسر التاء، وحجتهم أنها أخذت من: أقتر يقتر.

وقرأ الباقون بفتح الياء وضم التاء، وحجتهم أنها أخذت من: قتر يقتر مثل: خرج يخرج.[3]

وكلها لغات.[4]

ـ قال تعالى: ﴿ يُضَٰعَفۡ ﴾ ،﴿ وَيَخۡلُدۡ ﴾: فقد اختلف في قراءتهما حيث:

قرأ نافع، والبصري، وحفص، وحمزة، والكسائي، وخلف، بألف بعد الضاد، وتخفيف العين وجزم فاء يضاعف ودال يخلد.

وقرأ ابن كثير، وأبو جعفر، ويعقوب، بحذف الألف بعد الضاد، وتشديد العين وجزم الفاء والدال.

وابن عامر الألف وتشديد العين ورفع الفاء والدال. وشعبة بالألف والتخفيف ورفع الفاء والدال.[5]

فلمن جزم ذلك لاتصال الكلام بعضه ببعض فجعلت يضاعف بدلا من يلق ، ويخلد عطفا بالواو[6]، لأنه من معناه إذ لقيه جزاء الإثم تضعيف عذابه.

ولمن رفع؛ فيضاعف على الحال والاستئناف كأنه جواب ما الآثام ويخلد بالعطف عليه.[1]

---

[1] البصريان: أبو عمر بن علاء، يعقوب بن إسحاق.

[2] المدنيان: نافع بن نعيم، أبو جعفر بن يزيد القعقاع.

[3] الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، أبو عبد الله، ص266، (ط:4، بيروت: دار الشروق، 1401هـ)، تحقيق: د.عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب – جامعة الكويت.

[4] مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج24، ص482، (ط:3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ).

[5] البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة، عبد الفتاح القاضي، ص229، (لا. ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).

[6] الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، ص266.

ـ قال تعالى: ﴿ فِيهِۦ مُهَانًا ﴾ : اختلف في قراءتها:

قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم، مشبعة كسرة الهاء، وهو مذهب ابن كثير في جميع القرآن وافقه حفص في هذا الحرف فقط. الباقون مختلسة كسرة الهاء في جميع القرآن.[2]

ـ قال تعالى: ﴿ وَذُرِّيَّتِنَا ﴾: اختلف في قراءتها ما بين الافراد والجمع:

قرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وحفص {من أَزوَاجنَا} وَذُرِّيَّاتنَا بالألف على الجمع، وقرأ الباقون ذريتنا واحدة؛ فمن جمع قال: الجمع للأزواج، ومن وحد قال: الذُّرِّيَّة في معنى الجمع[3]؛ قال الله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾[الاسراء: 3].

ـ قال تعالى: ﴿ وَيُلَقَّوْنَ ﴾: اختلفت في قراءتها:

فقرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بفتح اللام وتخفيف القاف.

وقرأ الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف.[4]

فالأولى منها من مضارع لقي، والثانية من مضارع لقاه إذا جعله لاقيا، واللقي واللقاء: استقبال شيء ومصادفته.[5]

---

[1] إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين الدمياطي، ص418، (ط:1، لبنان: دار الكتب العلمية، 1419هـ1998م)، تحقيق: أنس مهرة.

[2] المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر، ص325، (لا.ط، دمشق: مجمع اللغة العربية، 1981م)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي.

[3] حجة القراءات، ابن زنجلة، ص514، (لا.ط، لا.م: دار الرسالة، د.ت)، تحقيق: سعيد الأفغاني.

[4] النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2، ص335، (لا.ط، لا.م: المطبعة التجارية الكبرى، د.ت)، تحقيق: علي محمد الضباع.

[5] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص84.

شرح المفردات والأوجه النحوية والبلاغية.

شرح المفردات:

ـ الهون: الهاء والواو والنون أصيل يدل على سكون أو سكينة أو ذلّ. من ذلك الهَوْن: السَّكينة والوَقار.[1]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا ﴾ [الفرقان: 63].

والهوان: تذلل الانسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة فيمدح به.[2]

والمشي الهَوْن : هو الذي ليس فيه ضرب بالأقدام وخفقُ النعال فهو مخالف لمشْي المتجبرين المعجَبين بنفوسهم وقوتهم.[3]

ـ الغرام: الغين والراء والميم أصل صحيح يدل على ملازَمة ومُلازَّة. من ذلك الغَريم، سمي غريما للُزومه وإلحاحه[4]، وهو اللازم من العذاب والشر الدائم والبلاء[5]، وقال الزجاج: "هو أَشدُّ العذاب في اللغة"[6]،

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ [الفرقان: 65].

ـ سرف: السين والراء والفاء أصل واحد يدل على تعدي الحد والإغفال أيضا للشيء[7]،

السرف تجاوز الحد في كل فعل يفعله الانسان وإن كان ذلك في الانفاق أشهر[8]، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ ﴾ [الفرقان: 67].

والإسراف: الإفراط في الإنفاق والتوسع في شؤون اللذات.[9]

---

[1] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج6، ص21.

[2] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص547.

[3] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج19، ص69.

[4] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج4، ص419.

[5] لسان العرب، ابن منظور، ج12، ص436.

[6] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج4، ص75، (ط:1، بيروت: عالم الكتب، 1408 هـ - 1988 م)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي.

[7] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3، ص153.

[8] مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص230.

[9] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج4، ص244.

ـ قتر: القاف والتاء والراء أصل صحيح يدل على تجميع وتضييق[1]، القتر تقليل النفقة وهو بإزاء الاسراف وكلاهما مذمومان[2] ، قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: 67].

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك، قول من قال: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحدّ الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام: بين ذلك.[3]

ـ آثاما: الهمزة والثاء والميم تدل على أصل واحد، وهو البطء والتأخر[4]، وقيل معنى يلق أثاما: أي يحمله ذلك على ارتكاب آثام وذلك لاستدعاء الامور الصغيرة إلى الكبيرة،[5] وقال ابن عاشور: "هو أشد من الإثم، أي يجازى على ذلك سُوءاً لأنها آثام".[6]

ـ مهانا: الميم والهاء والنون أصل صحيح يدل على احتقارٍ وحَقَارةٍ في الشيء، والمهانة: الحقارة[7]، وبذلك يُخلد في العذاب حقيراً ذليلاً أبد الآبدين.[8]

ـ يبدل: الباء والدال واللام أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب[9]، وفي سياق الآية: أن يجعل الله لهم حسنات كثيرة عوضا عن تلك السيئات التي اقترفوها قبل التوبة.[10]

ـ الزور: الزاي والواو والراء أصل واحد يدل على الميْل والعدول. من ذلك الزُّور: الكذب؛ لأنه مائلٌ عن طريقَةِ الحق. ويقال زوَّرَ فلانٌ الشَّيءَ تزويراً.[11]

---

[1] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5، ص55.

[2] مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص392.

[3] جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج19، ص300.

[4] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1، ص60.

[5] مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص10.

[6] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج19، ص74.

[7] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5، ص283.

[8] صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج2، ص339، (ط:1، القاهرة: دار الصابوني، 1417هـ. 1997م).

[9] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1، ص210.

[10] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج19، ص76.

[11] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج3، ص36.

ـ اللغو: لَغا في القول يَلْغُو ويَلْغَى لَغْواً ولَغِيَ بالكسر يَلْغَى لَغاً ومَلْغاةً أَخطأَ وقال باطلاً.[1]

وجاء في سياق الآية أنهم لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ أي: لا يقيمون الشهادة الباطلة أو الكاذبة، والمقصود: لا يعينون أهل الباطل على باطلهم بِاللَّغْوِ ما يجب أن يلغى ويطرح من الكلام القبيح وغيره.[2]

ـ قرة: قيل لمن يسر به قرة عين[3]، أي ما تقر به أعيننا وهو أن تراهم أعيننا مطيعين لك يعبدونك وحدك.[4]

ـ إماما: المثال والقالب الذي يصنع على شكله مصنوع من مثله[5]، والامام المؤتم به إنسانا كأن يقتدى بقوله أو فعله، أو كتابا أو غير ذلك محقا كان أو مبطلا وجمعه أئمة.[6]

ـ **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ ﴾ [الفرقان: 75]،الغرفة: علية من البناء وسمى منازل الجنة غرفا[7].

ـ لزاما: اللام والزاء والميم أصل واحد صحيح، يدل على مصاحبة الشيء بالشيء دائم[8]، لزوم الشئ طول مكثه ومنه يقال لزمه يلزمه لزوما[9]، وبذلك لزوم العذاب جزاء التكذيب.[10]

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، ج15، ص250.

[2] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص102

[3] مفردات غريب القرآن، الأصفهاني، ص398.

[4] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ج3، ص632، (ط:5، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 2003م . 1424هـ).

[5] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص83.

[6] مفردات غريب القرآن، الأصفهاني، ص24.

[7] مفردات غريب القرآن، الأصفهاني، ص360.

[8] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5، ص245.

[9] مفردات غريب القرآن، الأصفهاني، ص450.

[10] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص103.

الأوجه النحوية:

قال الامام مكي بن أبي طالب في مقدمة مشكله: "ورأيت من أعظم ما يجب على طالب علوم القرآن، الراغب في تجويد ألفاظه، وفهم معانيه، ومعرفة قراءاته ولغاته، وأفضل ما القارئ إليه محتاج، معرفة إعرابه والوقوف على تصرُّف حركاته وسواكنه...إذ بمعرفة حقائق الإعراب تُعرف أكثر المعاني وينجلي الإشكال، وتظهر الفوائد، ويُفْهَم الخطاب، وتصحُّ معرفة حقيقة المراد".[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ ﴾

{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ}: مبتدأ خبره في آخر السورة، كأنه قيل: وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم أولئك يجزون الغرفة. ويجوز أن يكون خبره الَّذِينَ يَمْشُونَ وأضافهم إلى الرحمن تخصيصا وتفضيلا.[2]

{هَوْناً}: انتصب على أنه نعت لمصدر محذوف أي مشياً هوناً أو على الحال.[3]

{وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً}: الواو عاطفة والجملة معطوفة على ما قبلها فهي من حيز الصلة وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة خاطبهم الجاهلون في محل جر بإضافة الظرف إليها وجملة قالوا لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وسلاما مفعول مطلق[4]، أي: نسلِّم سلامًا فهو اسم مصدر، والمصدر تسليم، ونصب {سلاماً} لأنّه ليس بحكاية، ولو كان حكاية لرفع.[5]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ ﴾

---

[1] مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، ج1، ص63، (ط:2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن.

[2] الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ج3، ص296، (لا.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي.

[3] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج6، ص469.

[4] إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، ج7، ص39، (ط:4، دمشق: دار اليمامة، 1415هـ).

[5] إعراب القرآن للأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الأصبهاني، ص277، (ط:1، الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 1415 هـ - 1995 م).

{وَالذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ}: إعادة الموصول لتأكيد أنهم يُعرفون بهذه الصلة، والظاهر أن هذه الموصولات وصلاتها كلها أخبار أو أوصاف لعباد الرحمن.[1]

{سُجَّدًا وقِيَامًا}: حالان منصوبان بالفتحة، بمعنى ساجدين لعظمة ربهم قائمين في عبادته.[2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝٦٦ ﴾

{مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}: منصوبان على التمييز[3]، المعنى أنها ساءت في المستقر والمقام[4]، والمخصوص بالذم محذوف أي: جهنم.[5]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧ ﴾

{وَكَانَ بَين ذَلِك قَوَامًا}: اسْم كَانَ مُضْمر فِيهَا وَالتَّقْدِير كَانَ الانفاق بَين ذَلِك قواما.

{قَوَامًا}: خبر كَانَ وَأَجَازَ الْفراء أَن يكون {بَين ذَلِك} اسْم كَانَ وَهُوَ مَفْتُوح.[6]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝٦٩ ﴾

جملة {يُضَاعَفْ}: بدل اشتمال من جملة { يَلْقَ }.[7]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ۝٧١ ﴾

{مَتَابًا}: مفعول مطلق.[8]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ۝٧٢ ﴾

---

[1] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص70.

[2] الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، مج8، ص149، (لا.ط، لا.م: دار الفكر، د.ت).

[3] اسم نكرة يبين المراد من اسم سابق يصْدق – لولا تحديده بالتمييز – على أشياء كثيرة، وهو قسمان: تمييز عدد، تمييز نسبة، وهذا الاخير هو المقصود، (الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، ص304).

[4] معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج4، ص75، (ط:1، بيروت: عالم الكتب، 1408هـ. 1988م)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي.

[5] المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، ج3، ص824، (لا.ط، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ).

[6] مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، ج2، ص525.

[7] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص74.

[8] المجتبى من مشكل إعراب القرآن، الخراط، ج3، ص825.

{الزور}: منصوباً على نزع الخافض ، أي لا يشهدون بالزور ؛ أو مفعولاً مطلقاً لبيان نوع الشهادة ، أي لا يشهدون شهادة هي زور لا حَقٌ.[1]

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾

{رَبَّنا}: منادى مضاف و{نَا}: مضاف إليه، {هَبْ}: فعل دعاء فاعله مستتر، ، {وَذُرِّيَّاتِنا}: معطوف على ما قبله، {قُرَّةَ}: مفعول به، {أَعْيُنٍ}: مضاف إليه، {وَاجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً}: فعل دعاء وفاعله مستتر.[2]

قَالَ تَعَالَى:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ ﴾

{أُولَئِكَ}: اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ، خبره جملة يجزون، والواو في {يُجْزَونَ}: نائب الفاعل، {مَا}: حرف مصدريّ، {يُلَقَّوْنَ}: مثل يجزون، {تَحِيَّةً}: مفعول به منصوب عامله يلقّون أي يعطون. والمصدر المؤوّل {مَا صَبَرُوا}: في محل جرّ بالباء متعلّق ب {يُجْزَوْنَ}.[3]

[1] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص79.

[2] إعراب القرآن الكريم، أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، ج2، ص378، (ط:1، دمشق: دار المنير ودار الفارابي، 1425هـ).

[3] الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، ج19، ص41، (ط:4، بيروت: مؤسسة الايمان، 1418هـ).

الأوجه البلاغية:

ـ الإضافة للتشريف والتكريم[1]: في قوله تعالى:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ [الفرقان: 63].

ـ السر في مقارنة وصف عباد الرحمن بالتواضع، بوصف آخر يناسب التواضع وكراهية التطاول وهو متاركة الذين يجهلون عليهم في الخطاب بالأذى والشتم وهؤلاء الجاهلون يومئذ هم المشركون إذ كانوا يتعرضون للمسلمين بالأذى والشتم، وذلك لتعليمهم كيفية متاركة السفهاء.[2]

ـ تصوير حركة عباد الرحمن في جنح الليل والناس نيام، ذلك بما عبر عنه في الصلاة من سجود وقيام.[3]

ـ الطباق: بين السجود والقيام في قوله تعالى: ﴿ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴾ [الفرقان:64]، وبين الإسراف والتقتير؛ في قوله تعالى:﴿ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ ﴾ [الفرقان: 67].

ـ تقديم سجداً على قياماً مراعاة للفاصلة مع الإشارة إلى الاهتمام بالسجود.[4]

ـ المقابلة اللطيفة: بين نعيم أهل الجنة في قوله تعالى: ﴿ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾ [الفرقان: 67]، وعذاب أهل النار[5] في قوله تعالى: ﴿سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفرقان: 66].

ـ الاستعارة[1]: في قوله: ﴿ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴾ [الفرقان: 73]، أريد تمييز المؤمنين بمخالفة حالة هي من حالات المشركين وتلك هي حالة سماعهم دعوة الرسول ﷺ وما تشتمل عليه من آيات القرآن

[1] إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج6، ص228، (لا.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).

[2] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص69.

[3] في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ج5، ص2578، (ط:17، بيروت: دار الشروق، 1412ه).

[4] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص70.

[5] صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني، ج2، ص341.

وطلب النظر في دلائل الوحدانية ، فلذلك جيء بالصلة منفية لتحصيل الثناء عليهم مع التعريض بتفظيع حال المشركين فإن المشركين إذا ذُكّروا بآيات الله خَرُّوا صُمّاً وعمياناً كحال من لا يحبّ أن يرى شيئاً فيجعل وجهه على الأرض ، فاستعير الخرور لشدة الكراهية والتباعد بحيث إن حالهم عند سماع القرآن كحال الذي يخرّ إلى الأرض لئلا يرى ما يكره بحيث لم يبق له شيء من التقوم والنهوض ، فتلك حالة هي غاية في نفي إمكان القبول.

وصمّاً وعُمْيَانَاً ، مراد بهما التشبيه بحذف حرف التشبيه ، أي يخِرّون كالصمّ والعُميان في عدم الانتفاع بالمسموع من الآيات والمبصرَ منها مما يُذكَّرون به.[2]

ـ النفي والاثبات: في قوله تعالى: ﴿ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣ ﴾ [الفرقان: 73]، ليس بنفي للخرور، وإنما هو إثبات له، ونفي للصمم والعمى، كما تقول : لا يلقاني زيد مسلماً، هو نفي للسلام لا للقاء. والمعنى: أنهم إذا ذكروا بها أكبوا عليها حرصاً على استماعها . وأقبلوا على المذكر بها وهم في إكبابهم عليها، سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راعية، لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها، مظهرين الحرص الشديد على استماعها، وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يتبصرون ما فيها كالمنافقين وأشباههم.[3]

ـ الكناية: في قوله تعالى: ﴿ قُرَّةَ أَعۡيُنٖ ﴾ [الفرقان: 74] عن الفرحة والسرور، وكذلك قوله: ﴿ ٱلۡغُرۡفَةَ ﴾ [الفرقان: 75] كناية عن الدرجات العالية في الجنة.[4]

ـ التنكير والتقليل: في قوله تعالى: ﴿ قُرَّةَ أَعۡيُنٖ ﴾ [الفرقان: 74]، نكّر وقلل، أما التنكير فلأجل تنكير القرّة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف إليه، كأنه قيل: هب لنا منهم سرورا وفرحا. وإنما

[1] الاستعارة في الجملة: أن يكون للَّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اخْتُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غيرَ لازمٍ، فيكون هناك كالعارِيَّة، (أسرار البلاغة، الجرجاني، ص30).

[2] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص80. 81.

[3] الكشاف، الزمخشري، ج3، ص303.

[4] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص102.

قيل (أعين) دون عيون لأنه أراد أعين المتقين، وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم، ويجوز أن يقال في تنكير (أعين) أنها أعين خاصة، وهي أعين المتقين.[1]

تحليل الآيات:

سأتطرق في هذا المبحث إلى ذكر مناسبة الآية لما قبلها وذلك يكون قبل تحليلها وتفصيلها:

لما وصف الكفار في هذه السورة بما وصفهم به من الفظاظة والغلظة ونحو ذلك من جلافتهم ، وختم بالتذكر والشكر ، وكان التقدير : فعباد الشيطان لا يتذكرون ولا يشكرون ، لما لهم من القسوة ، عطف على هذا المقدر أضدادهم ، واصفاً ومبشراً لهم بضد جزائهم ، فقال : وعباد (الرحمن) فأضافهم إليه رفعة لهم وإن كان كل الخلق عباده ، كما أضاف لهم بعض الصفات؛ الرحمة، والمشي على الأرض بتواضع بحيث لا يؤذون أحداً ولا يفخرون، وذلك لتبرئتهم من حظوظ الشيطان.[2]

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ ﴾

هذه صفات عباد الله المؤمنين الذين يمشون على الأرض هونا أي بسكينة ووقار من غير جبرية ولا استكبار، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ ﴾[الإسراء: 37] الآية[3]، غير أنهم اختلفوا، فقال بعضهم: عنى بقوله (يَمْشُونَ عَلَى الأرْضِ هَوْنًا): أنهم يمشون عليها بالسكينة والوقار.

وقال البعض الآخر: الطاعة والتواضع، فعن ابن عباس قال: يمشون على الأرض بالطاعة.

وعن أبي الأشهب، عن الحسن[4] قال: حلماء، وإن جُهِلَ عليهم لم يجهلوا، أي: أنهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم.[5]

---

[1] الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، ج19، ص47.

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج5، ص334.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج 6، ص110.

[4] الحسن البصري

[5] جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، ج19، ص294.

وقد كره بعض السّلف المشي بتضعّف وتصنّع، حتى روي عن عمرﷺ أنه رأى شابا يمشي رويدا، فقال: ما بالك أأنت مريض؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، فعلاه بِالدِّرَّة وأمره أن يمشي بقوة، وإنما المراد بالهون هنا السكينة والوقار، كما قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السِّكِينَةُ فَمَا أدركتم منها فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا».[1]

(وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا): سَلاماً أي إذا سفه عليهم الجهال بالقول السيء، لم يقابلوهم بمثله، بل يعفون ويصفحون، ولا يقولون إلا خيرا، كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلما، وكما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ ﴾[القصص: 55].

قال النحاس: ليس سَلاماً من التسليم، إنما هو من التسلّم، تقول العرب: سلاما، أي تسلّما منك، أي براءة منك.

وروى الإمام أحمد عن النعمان بن مقرّن المزني قال: قال ﷺ: وسبّ رجل رجلا عنده، فجعل المسبوب يقول: عليك السلام-: « أَمَا إِنَّ مَلَكًا بَيْنَكُمَا يَذُبُّ عَنْكَ كُلَّمَا يَشْتُمُكَ هَذَا، قَالَ لَهُ: بَلْ أَنْتَ وَأَنْتَ أَحَقُّ بِهِ، وَإِذَا قَالَ لَهُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، قَالَ: لَا بَلْ لَكَ أَنْتَ، أَنْتَ أَحَقُّ بِهِ»[2]، وقال فيه ابن كثير إسناده حسن ولم يُخْرِجُوه.[3]

فهاتان صفتان بينهم وبين الناس وهما ترك الإيذاء وتحمل الأذى.[4]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ۝٦٤ ﴾

لما ذكر سيرتهم في النهار من وجهين: أحدهما: ترك الإيذاء، وهو المراد من قوله: يمشون على الأرض هونا والآخر تحمل التأذي، وهو المراد من قوله: وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما فكأنه شرح سيرتهم مع الخلق في النهار، فبين في هذه الآيات سيرتهم في الليالي عند الاشتغال بخدمة الخالق.[5]

---

[1] رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة، رقم الحديث (866)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار، رقم الحديث (602).

[2] رواه الامام أحمد في مسنده، مسند النعمان بن مقرن، رقم الحديث (23745).

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص111.

[4] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص107.

[5] مفاتح الغيب، الرازي، ج24، ص481.

ذكر الله ﷻ في هذه الآية، أن عباده الصالحين، يَبِيتُون لربهم سجدا وقياما يعبدون الله ويُصَلُّون له، بيّنه في غير هذا الموضع، في قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ ﴾ [الزمر: 9].

فيقال لمن أدرك اللّيل: بات نام أو لم ينم، يقال: بات فلان قلقًا، والمعنى يَبِيتُون لربّهم باللّيل في الصّلاة، سجّدا، على وجوههم، وقياما على أقدامهم[1].

والسجود والقيام ركنا الصلاة، وهو ما بيّنه النبي ﷺ بقوله : «أقرب ما يكونُ العبد من ربه وهو ساجد»[2]، وكان أصحابه ﷺ كثيري التهجد كما أثنى الله عليهم بذلك[3] بقوله:﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾ [السجدة: 16]

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ۝٦٦ ﴾

ولما ذكر تهذيبهم لأنفسهم للخلق والخالق ، أشار إلى أنه لا إعجاب عندهم ، بل هم وجلون ، وأن الحامل لهم على ذلك الإيمان وقدموا الدعاء بالنجاة اهتماماً بدرء المفسدة ، وبأن يصرف عنهم عذاب جهنم الملازم للكافر والمهلك له وكونها محل إقامته.[4]

فدعاؤهم هذا أمارة على شدة مخافتهم الذنوب فهم يسعون في مرضاة ربّهم لينجوا من العذاب، فالمراد بصرف العذاب: إنجاؤهم منه بتيسير العمل الصالح وتوفيره واجتناب السيئات.[5]

ثم ذكر تعالى أن علة سؤالهم ودعائهم شيئان:

---

[1] معالم التنزيل في القرآن، البغوي، ج3، ص455.

[2] رواه الامام مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم الحديث (482).

[3] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص70.

[4] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج5، ص335.

[5] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص70.

الأول: (إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً) أي إن عذابا كان ملازما دائما للإنسان العاصي، لزوم الدائن الغريم لمدينه، أو هلاكا وخسرانا لازما.

الثاني: (إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً) أي إن جهنم بئس المنزل مستقرا ومنظرا يستقر فيه، وبئس المقيل مقاما. وهذا أمر لا شك فيه يعلمه كل من اكتوى بشيء من نار الدنيا.[1]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾

ولما ذكر أفعالهم وأقوالهم فيما بينهم وبين الخلق والخالق، ذكر أحوالهم في أموالهم، وهذا هداية إلى طريق الغنى لأنه ما عال من اقتصد، ولما علم أن ما بين الطرفين المذمومين يكون عدلا، فبين ذلك وصرح به، وكل ذلك لكي لا يكونوا إخوان الشياطين الذين هم من النار.[2]

وفي سياق الآية: أي ليسوا بمبذّرين في إنفاقهم، فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهليهم فيقصّرون في حقّهم فلا يكفونهم، بل عدلا خيارا، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا، وَكانَ بَيْنَ ذلِكَ قَواماً كما قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾ [الإسراء: 29] الآية.[3]

اختلف المفسّرون في تأويل هذه الآية. فقال النّحّاس: ومن أحسن ما قيل في معناه أَنّ من أنفق في غير طاعة الله فهو الإسراف، ومن أمسك عن طاعة الله عز وجل فهو الإقتار، ومن أنفق في طاعة الله تعالى فهو القوام.[4]

فعبارة أكثرهم أن الذي لا يسرف هو المنفق في الطاعة وإن أسرف والمسرف هو المنفق في المعصية وإن قل إنفاقه وأن المقتر هو الذي يمنع حقا عليه وهذا قول ابن عباس ومجاهد وابن زيد وقال عون بن عبد الله بن عتبة الإسراف أن تنفق مال غيرك، ونحو هذه الأقوال التي هي غير مرتبطة بلفظ الآية وخلط الطاعة والمعصية بالإسراف والتقتير فيه نظر والوجه أن يقال إن النفقة في المعصية أمر قد حظرت الشريعة قليله وكثيره وكذلك التعدي على مال الغير وهؤلاء الموصوفون منزهون عن ذلك وإنما التأديب بهذه الآية هو في

[1] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص108.

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي،ج5، ص336.

[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص112.

[4] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13، ص72.

نفقة الطاعات وفي المباحات فأدب الشرع فيها أن لا يفرط الإنسان حتى يضيع حقا آخر أو عيالا ونحو هذا وأن لا يضيق أيضا ويقتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشح والحسن في ذلك هو القوام.[1]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ ﴾

ولما ذكر ما تحل به عباد الرحمن من أصول الطاعات، بما لهم من العدل والإحسان بالأفعال والأقوال، في الأبدان والأموال، أتبعه ما تخلوا عنه من أمهات المعاصي التي هي الفحشاء والمنكر، وهي المعدودة في هذه الآية: الشرك، قتل النفس، الزنا.[2]

فهذا يعتبر قسم آخر من صفات عباد الرحمن، ألا وهو قسم التخلّي عن المفاسد التي كانت ملازمة لقومهم من المشركين؛ فتنزه عباد الرحمن عنها بسبب إيمانهم، وذكر هنا تنزههم عن الشرك وقتل النفس والزنا، وهذه القبائح الثلاث كانت غالبة على المشركين.[3]

فإن قيل: إن الله تعالى ذكر أن من صفات عباد الرحمن الاحتراز عن الشرك والقتل والزنا، فلو كان الترتيب بالعكس كان أولى؟ فالجواب: أن الموصوف بتلك الصفات السالفة قد يكون متمكناً بالشرك تديناً، ويقتل المولود تديناً، ويزني تديناً، فبين تعالى أن المرء لا يصير بتلك الخصال وحدها من عباد الرحمن حتى يتجنب هذه الكبائر وأجاب الحسن فقال: المقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين سيرة المسلمين وسيرة الكفار كأنه قال: وعباد الرحمن هم الذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر، وأنتم تدعون، " وَلاَ يَقْتُلُونَ " وأنتم تقتلون الموءودة " وَلاَ يَزْنُونَ " وأنتم تزنون.[4]

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج4، ص266.

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج5، ص338.

[3] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص73.

[4] اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي الحنبلي، ج14، ص569، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م. 1419هـ)، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

والنفس المحرمة هي: النفس المؤمنة والذمية والمعاهدة، وبالحق: بالسبب الموجب لقتلها كالردة والقصاص والزنا بعد الإحصان والمحاربة.[1]

وقوله تعالى: {وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً}: روي عن عبد الله بن عمرو أنّه قال: أثاما: واد في جهنّم. وقال عكرمة يلق أثاما أودية في جهنّم يعذّب فيها الزّناة. وكذا روي عن سعيد بن جبير ومجاهد. وقال قتادة يلق أثاما نكالا، كنّا نُحَدّث أنّه واد في جهنّم، ورد في الحديث الذي رواه ابن جرير[2] وغيره عن أَبِي أُمَامَةَ الباهليّ موقوفا ومرفوعا: أن غيا وآثاما بئران في قعر جهنم، أجارنا الله منهما بمنّه وكرمه.[3]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾

لما كانت هذه الذنوب تعتبر من الكبائر، فإذا كان الأعم كبيراً، كان الأخص المذكور أعظم من مطلق الأعم، لأنه زاد عليه بما صار به خاصاً، فثبت بهذا أنها كبائر، وأن قتل الولد والزنى بحليلة الجار أكبر لما ذكر، ورود النفي على وقوع الخصال الثلاث حال الاجتماع والانفراد ، فالمعنى: لا يوقعون شيئاً منها، فكان معنى (ومن يفعل ذلك): ومن يفعل شيئاً من ذلك – ليرد الإثبات على ما ورد عليه النفي ، فيحصل التناسب.[4]

فليس المراد بمن يفعل كل واحدة مما ذكر يلقَ آثاماً لأن لُقِيَّ الآثام بُيّن هنا بمضاعفة العذاب والخلودِ فيه، ويجوز أن تكون مضاعفة العذاب مستعملة في معنى قوته، أي يعذب عذاباً شديداً وليست لتكرير عذاب مقدر، فجُعل الجزاء مضاعفة العذاب والخلود، وأما مضاعفة العذاب فهي أن يعذّب على كل جُرم مما ذكر عذاباً مناسباً ولا يكتفَى بالعذاب الأكبر عن أكبر الجرائم وهو الشرك ، تنبيهاً على أن الشرك لا ينجي

[1] البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج4، ص688.
[2] جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، ج19، ص308.
[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص114.
[4] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج5، ص338.

صاحبه من تبعة ما يقترفه من الجرائم والمفاسد ، وذلك لأن دعوة الإسلام للناس جاءت بالإقلاع عن الشرك وعن المفاسد كلها.[1]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾

وبعد أن أتم تهديد الفجار على هذه الأوزار أتبعه بترغيب الأبرار في التوبة والرجوع إلى حظيرة المتقين فيفوزون بجنات النعيم، ولكن من رجع عن هذه الآثام مع إيمانه وعمله الصالحات فأولئك يمحو الله سوابق معاصيه بالتوبة ويثبت له لواحق طاعته.[2]

روى الترمذي[3] والبيهقي[4] عن معاذ أن النبي ﷺ قال: «أتبع السيئة الحسنة تمحها...».

وهذا الحديث مؤكد لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[هود: 114].

ومعنى ذلك أن من تاب في الدنيا إلى الله عزّ وجلّ عن جميع ذلك بأن أقلع عن الذنب، وندم على المعصية، وكان مؤمنا مصدقا بالله ورسله واليوم الآخر، وعمل الصالحات، فأولئك يمحو الله عنهم بالتوبة السيئات، ويبدلهم مكانها حسنات بإثبات لواحق الطاعة، أو تنقلب تلك السيئات الماضية بنفس التوبة حسنات.[5]

غير أهل التأويل اختلفوا في كون التبديل: بأن يبدّل الله بقبائح أعمالهم في الشرك، محاسن الأعمال في الإسلام، أو بأن يبدل سيئاتهم في الدنيا حسنات لهم يوم القيامة، والصواب هو أن يبدل الله سيئاتهم:

---

[1] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص74.

[2] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ج19، ص40، (ط:1، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، 1946م 1365هـ).

[3] رواه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، رقم الحديث (1987). وهو حديث حسن.

[4] البيهقي، باب في حسن الخلق، رقم الحديث (8023).

[5] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص110.

أعمالهم في الشرك حسنات في الإسلام، لأن الأعمال السيئة قد كانت مضت على ما كانت عليه من القُبح، لأن سبب نزول الآيات كان في أهل الشرك.[1]

فيستنتج من هذا أن للتوبة شروطا: الإقلاع عن الذنب، والندمُ على ما فرط، والعزم على أن لا يعود إلى الذنب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾

الآية صريحة في أن العمل الصالح والمثابرة عليه قولاً وفعلاً ، شرط في صحة التوبة وقبولها وأنه لا اعتداد بها بدون العمل الصالح. فليتفطن لمعنى هذا الآية من يتوهم أن التوبة استغفار بلسان ، أو تخشع بأركان، ولا عمل صالح له يرضي الرحمن.[2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾

ولما وصف عباده سبحانه بأنهم تحلوا بأصول الفضائل، وتخلوا عن أمهات الرذائل، ورغب التوبة، لأن الإنسان لعجزه لا ينفك عن النفص، وكان قد مدحهم بعد الأولى من صفاتهم بالحلم عن الجهل مدحهم قبل الأخرى من أمدحهم وعقب تركهم الزنى بالإعراض أصلاً عن اللغو الذي هو أعظم مقدمات الزنى[3]، فأتبع ذلك بصفات أخرى من خصالهم ألا وهي من كمال الإيمان، والتخلق بفضائله، ومجانبة أحوال أهل الشرك. وتلك ثلاث خصال أولاها أفصح عنه قوله بعدم شهادتهم لقول الزور.[4]

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج19، ص312.

[2] محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ج7، ص444، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود.

[3] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج5، ص340.

[4] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص78.

فقد اختلف أهل التأويل في معنى الزور الذي وصف الله هؤلاء القوم بأنهم لا يشهدونه، فقال بعضهم: معناه الشرك بالله، وقال آخرون: بل عني به الغناء؛ أي لا يسمعون الغناء، وقال آخرون: هو قول الكذب.[1]

غير أن ابن كثير حيث قال أن المراد من قوله تعالى: (لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ أَيْ شَهَادَةُ الزُّورِ): هي الكذب متعمدا على غيره[2]، كما في الصحيحين عن أَبِي بَكْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: «ألا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» ثلاثا، قُلْنَا: بلى يا رسول الله. قال «الشِّرْكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ» وَكَانَ مُتّكئا، فجلس فقال: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ» فما زال يُكرّرها حتّى قلنا: ليته سكت.[3]

وإذا مر أهل المروءَة على أصحاب اللغو تنزهوا عن مشاركتهم وتجاوزوا ناديهم فكانوا في حال كرامة ، وهذا ثناء على المؤمنين بترفّعهم على ما كانوا عليه في الجاهلية.[4]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾

ولما ذكر وصفهم الذي فاقوا به، أشار إلى وصف الجهلة الذي سلفوا به، ثم زاد في بيان إعراضهم وصدهم عنها فقال منبهاً على أن المنفي القيد لا المقيد، وهو الخرور، بل هو موجود غير منفي بصفة السمع والبصر وذلك كما يفعل المنافقون والكفار، فذكر وصف لعباد الرحمن بفعل ضد هذا.[5].

وفي سياق هذه الآية: أنّهم إذا ذُكِّروا بها أكبّوا عليها حرصا على استماعها، وأقبلوا على المذكّر بها، وهم في إكبابهم عليها سامعون بآذان واعية، مبصرون بعيون راعية، لا كالذين يذكّرون بها فتراهم مكبّين عليها مُقبلين على من يذكّر بها مظهرين الحرص الشّديد على استماعها وهم كالصُّمّ والعميان حيث لا يفهمونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين.[6]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري، ج19، ص314.

[2] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص118.

[3] أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك، رقم الحديث (12336).

[4] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص79.

[5] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج5، ص341.

[6] مفاتح الغيب، الرازي، ج24، ص486.

ولما ذكر هذه الخصلة المثمرة لما يلي الخصلة الأولى ، ختم بما ينتج الصفة الأولى.[1]

فهذه صفة ثالثة للمؤمنين بأنهم يُعْنَون بانتشار الإسلام وتكثير أتباعه فيدْعُون الله أن يرزقهم أزواجاً وذرّيّات تقَرُّ بهم أعينُهم، فالأزواج يُطعنهم باتباع الإسلام وشرائعه؛ فقد كان بعض أزواج المسلمين مخالفات أزواجهم في الدين، والذّريات إذا نَشَأوا نشأوا مؤمنين، وقد جُمع ذلك لهم في صفة (قُرَّةَ أَعْيُنٍ). فإنها جامعة للكمال في الدين واستقامة الأحوال في الحياة إذ لا تقَرّ عيون المؤمنين إلاّ بأزواج وأبناء مؤمنين.[2]

ويعني الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له.[3]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦ ﴾

ولما بين سبحانه صفات المتقين المخلصين ذكر إحسانه إليهم بقوله: (أُوْلئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيها تَحِيَّةً وَسَلاماً) أي أولئك المتصفون بصفات الكمال، الموسومون بفضائل الأخلاق والآداب، يجزون المنازل الرفيعة، والدرجات العالية، بصبرهم على فعل الطاعات، واجتنابهم للمنكرات، ويتدرون فيها بالتحية والإكرام، ويلقّون التوفير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام، ثم بين أن هذا النعيم دائم لهم لا ينقطع فقال:(خالِدِينَ فِيها حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً) أي مقيمين فيها لا يظعنون ولا يموتون، حسنت منظرا، وطابت مقيلا ومنزلا.[4]

وبذلك يكون معنى الآية: أي أولئك المتصفون بتلك الصفات الجليلة، والأقوال والأفعال الحميدة يجزون يوم القيامة الغرفة أي الغرفات لقوله تعالى: ﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾ [سبأ: 37] وهي المنازل العالية، والدرجات الرفيعة في الجنان، بصبرهم على القيام بها، ويلقّون في الجنة تحية وسلاما، أي يتدرون فيها بالتحية والإكرام، ويعاملون بالتوقير والاحترام، فلهم السلام وعليهم السلام،

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج5، ص341.
[2] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص81.
[3] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، ص119.
[4] تفسير المراغي، المراغي، ج19، ص42.

كما قال تعالى: ﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤ ﴾ [الرعد: 23 ـ 24] ودلّ قوله: بِما صَبَرْتُمْ على أن الجنة بالاستحقاق.[1]

وقوله تعالى {خالدين فيها} أي في تلك الغرفة في أعلى الجنة {حسنت مستقراً} أي طابت موضع إقامة واستقرار، فإلى هنا انتهى الحديث عن صفات عباد الرحمن وبيان جزائهم عند ربهم.[2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا ٧٧ ﴾

فاعلم أنّه سبحانه لما شرح صفات المتّقين، وشرح حال ثوابهم أمر رسوله أن يقول: (قُلْ ما يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعاؤُكُمْ) فدل بذلك على أنّه تعالى غنيّ عن عبادتهم، وأنه تعالى إنّما كلّفهم لينتفعوا بطاعتهم.[3]

ويعتبر هذا ختام يناسب موضوع السورة كلها ومساقها للتسرية عن رسول الله ﷺ وتعزيته عما يلاقي من عناد قومه وجحودهم، وتطاولهم عليه، وهم يعرفون مقامه ولكنهم في سبيل الإبقاء على باطلهم يعاندون ويصرون.[4]

ولما كان الله تعالى قد أضاف هؤلاء العباد إلى رحمته واختصهم بعبوديته لشرفهم وفضلهم ربما توهم متوهم أن غيرهم لم لا يدخلون في العبودية؟

فأخبر تعالى أنه لا يبالي ولا يعبأ بغير هؤلاء وأنه لولا دعاؤكم إياه دعاء العبادة ودعاء المسألة ما عبأ بكم ولا أحبكم فقال: {قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا} أي: عذابا يلزمكم لزوم الغريم لغريمه وسوف يحكم الله بينكم وبين عباده المؤمنين. [5]

---

[1] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص113.

[2] أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ج3، ص634.

[3] مفاتيح الغيب، الرازي، ج24، ص488.

[4] في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ج5، ص2581.

[5] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص587، (ط:1، لا.م: مؤسسة الرسالة، 2000م. 1420هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

الفصل الثاني: الدراسة الموضوعية.

المبحث الأول: صفات التحلّي بالكمالات الدينية.

المطلب الأول: علاقة الآيات بما قبلها.

المطلب الثاني: المعنى الإجمالي.

المطلب الثالث: الدلالات والهدايات المستنبطة.

المبحث الثاني: صفات التخلّي عن ضلالات أهل الشرك.

المطلب الأول: علاقة الآيات بما قبلها.

المطلب الثاني: المعنى الإجمالي.

المطلب الثالث: الدلالات والهدايات المستنبطة.

المبحث الثالث: جزاء عباد الرحمن.

المطلب الأول: علاقة الآيات بما قبلها.

المطلب الثاني: المعنى الإجمالي.

المطلب الثالث: الدلالات والهدايات المستنبطة.

صفات التحلي بالكمالات الدينية.

فسأذكر في هذا المبحث الصفات التي يجب على المسلم التحلي بها، مع شرح كل صفة، وبيان الدلالات واستخراج الهدايات المستنبطة من كل صفة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ٦٤ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٦٦ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧ ﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤ ﴾

علاقة الآيات بما قبلها:

ولما تقدم ذكر الكفار وذمُّهم جاء لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكورا ذكر أحوال المؤمنين المتذكرين[1]، كما تقدم ذكر سلوكهم مع الخلق حيث ذكر في هذه الآية سلوكهم في القيام بعبادة الحق. وفيما تقدم بيان حالهم عند اختلاطهم بالعباد، وفي هذه بيان حالهم عند تفردهم لرب العباد، ولما بدأ بذكر حسن سلوكهم مع الخلق، واجتهادهم في عبادة الحق، ذكر خوفهم من ربهم، واعتمادهم عليه في نجاتهم، وعدم اعتزازهم بأعمالهم، فهم يأتون ما يأتون من محاسن الأعمال، ولا يعتمدون إلاّ على الكبير المتعال.[2]

المعنى الاجمالي:

بعد أن وصف الكافرين بالإعراض عن عبادته، والنفور من طاعته، والسجود له عز اسمه ذكر هنا أوصاف خلص عباده المؤمنين، وبين ما لهم من فاضل الصفات، وكامل الأخلاق، التي لأجلها استحقوا جزيل الثواب من ربهم، وأكرم لأجلها مثواهم مما تشرئب إليها أعناق العاملين، وتتطلع إليها نفوس الصالحين، الذين يبتغون المثوبة ونيل النعيم كفاء ما اتصفوا من كريم الخلال، وأتوا به من جليل الأعمال.[3]

---

[1] البحر المحيط في التفسير، أبو حيان، ج8، ص125، (لا.ط، بيروت: دار الفكر، 1420هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل.

[2] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، ص193. 198. 200، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م. 1416هـ)، تحقيق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين.

[3] تفسير المراغي، المراغي، ج19، ص35.

فقد اشتملت هذه الآيات الكريمة على صفات سبع كان يجب على المسلم التحلي بها ليكون في ضمن صنف عباد الرحمن الذي شرفهم الله بالذكر هاهنا، فهذه الصفات هي كالآتي:

الأولى: التواضع وذلك في قوله {الذين يمشون على الأرض هوناً} أي ليسوا جبابرة متكبرين، ولا عصاة مفسدين ولكن يمشون متواضعين عليهم السكينة والوقار، والثانية: الحلم في قوله:{وإذا خاطبهم الجاهلون} أي السفهاء بما يكرهون من القول قالوا قولاً يسلمون به من الإثم فلم يردوا السيئة بالسيئة ولكن بالحسنة.

والثالثة: التهجد في قوله {والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً} أي يقضون ليلهم بين السجود والقيام يصفون أقدامهم ويذرفون دموعهم على خدودهم خوفاً من عذاب ربهم.

والرابعة: الخوف من الله في قوله {والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم} إنهم لقوة يقينهم كأنهم شاعرون بلهب جهنم يدنو من وجوههم فقالوا {ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما} أي مُلحاً لازماً لا يفارق صاحبه، {إنها ساءت} أي جهنم {مستقراً ومقام} أي بئست موضع إقامة واستقرار.

والخامسة: ترك الإسراف والتقتير في قوله {والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا} في إنفاقهم فيتجاوزوا الحد المطلوب منهم، ولم يقتروا فيقصروا في الواجب عليهم وكان إنفاقهم بين الإسراف والتقتير قواماً أي عدلاً وسطاً.[1]

والسادسة: قبول المواعظ وذلك أنهم إذا ذكرهم أحد بآيات القرآن كتاب ربهم عز وجل لم يخنوا رؤوسهم عليها صماً حتى لا يسمعوا مواعظها ولا عمياناً حتى لا يشاهدوا آثار آياتها بل يخنون رؤوسهم سامعين لها واعين لما تقوله وتدعو إليه مبصرين آثارها مشاهدين وقائعها متأثرين بها.[2]

والسابعة: الابتهال إلى الله تعالى والدعاء له، وكان طلبهم من ربهم أمرين: أن يكون لهم من أزواجهم وذرياتهم من يعبدونه، فتقر بهم أعينهم في الدنيا والآخرة، وأن يكونوا هداة مهتدين، دعاة إلى الخير، آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر.[3]

---

[1] أيسر التفاسير، أبو بكر جابر الجزائري، ج3، ص629. 630.

[2] أيسر التفاسير، أبو بطر جابر الجزائري، ج3، ص633.

[3] تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، ج20، ص121، (ط:1، بيروت: دار طوق النجاة، 1421 هـ - 2001 م)، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي.

الدلالات والهدايات المستنبطة :

في هذا المبحث سأتطرق إلى ذكر الدلالات والهدايات المستنبطة، ويحسن شرح كل صفة لبيان أهميتها، وهي على حسب ورودها كالآتي:

الصفة الأولى: التواضع.

يعتبر التواضع خلق رفيع يزين أهل العلم والفضل والنسب والجاه، يزيدهم جمالا وبهاء وعزا على ما هم فيه[1]، وذلك أن عباد الله المخلصين الربانيين الذين لهم الجزاء الحسن من ربهم هم الذين يمشون في سكينة ووقار، من غير تجبر ولا استكبار، يطؤون الأرض برفق، ويعاملون الناس بلين، لا يريدون علوّا في الأرض ولا فسادا، كما قال تعالى حاكيا وصية لقمان لابنه[2]:﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾ [لقمان: 18].

وأيضا في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴾ [الإسراء: 37].

الدلالات:

فقد كان النبي ﷺ المثل الأعلى في التواضع، حيث زكاه الله بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾[القلم: 4].

وقد بلغ التواضع به ﷺ أنه كان يعاون أهله في عمل البيت، فعن الأسود بن يزيد قال: « قال سألت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله ؟ قالت: كان في مهنة أهله، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة».[3]

وكان التواضع ظاهرا في أفعاله ﷺ حتى في طعامه وشرابه، فعن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعاما لعق أصابعه الثلاث، قال: وقال: «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ عَنْهَا الْأَذَى وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ».[4]

---

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن، مصطفى مسلم، مج5، ص318، (لا.ط، جامعة الشارقة: مطبعة المعارف، 1431هـ . 2010).

[2] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص105.

[3] رواه البخاري، كتاب الأدب، باب كيف يكون الرجل في أهله، رقم الحديث (5692).

[4] رواه مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب لعق الأصابع، رقم الحديث (2034).

وكما جاء في الصحيح أيضا: «أَنَّ رَهْطًا مِنْ الْيَهُودِ دَخَلُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ[1] عَلَيْكُمْ ففهمتها عائشةﷺ فقالت: وَعَلَيْكُمْ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْكُمْ. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِﷺ: مَهْلاً يَا عَائِشَةُ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالْعُنْفَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا. فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؛ فَقَالَ لَهَا: أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؛ رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ: قد قلت: وَعَلَيْكُمْ».[2]

فقد خاطبه هؤلاء الجاهلون بالسوء فقال لهم كلمة سالمة من القبح، ليس فيها لفظ الإذاية، وهو السام، بعيدة عن الإفحاش، خالصة للرفق.[3]

وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه رأى غلاماً يتبختر في مِشيته فقال له: «إن البخترة مِشية تُكْره إلا في سبيل الله».[4]

الهدايات المستنبطة:

ـ تخصيص اسم العبودية هنا وذلك للمشتغلين بالعبودية.[5]

ـ التواضع والطاعة لله تعالى: ويكون ذلك بالعلم بالله والخوف منه، والمعرفة بأحكامه، والخشية من عذابه وعقابه.[6]

فمن صور التواضع كما ذكر ابن القيم في الدرر السنية:

تواضع الإنسان في نفسه: بأن لا يظن أنه أعلم من غيره، وأن لا يعظم عمله فقد لا يقبل، وما نراه الآن أن الكثير من الناس من يعظم عمله ولو كان بسيطا، وأنه لو تعلم قليلا صار أعلم الناس، فهذا يعد من الكبر لا من التواضع فعلى المسلم أن ينتبه أعل هذه الأمور.

تواضع صاحب المال: فإن مَن مَنَّ الله عليهم بالمال، والجاه، والقوَّة، والنُّفوذ، أحوج الخَلْق إلى خُلُق التَّواضُع؛ لأنَّ هذه النِّعم مدعاة إلى الكِبْر والفخر.

---

[1] السام: الموت، لسان العرب، مادة سوم، ج12، ص314.

[2] رواه البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، رقم الحديث (5678).

[3] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص197.

[4] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص69.

[5] مفاتيح الغيب، الرازي، ج24، ص480.

[6] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص114.

وما ابتليت الأمَّة بمصيبة الكِبْر إلَّا مِن هؤلاء، ولو نظر صاحب المال –مثلًا– إلى سالف أمره، لكان أجدر به إذا ما رُزِق مالًا أن يشكر ربَّه الذي أغناه بعد فقر، وأعطاه بعد حرمان، وأشبعه بعد جوع، وأمَّنه بعد خوف، وأن يجعل التَّواضُع فراشه، ودثاره، وزينته، هذا هو الشُّكر العملي الحقيقي.

أمَّا أن يتكبَّر وهذا حاله، فلا أدري بم يوصف هذا الإنسان، وقد بدِّلت لديه المفاهيم والموازين.

وكذلك يقال لصاحب كلِّ نعمة: عليك بالتَّواضُع، فلربَّما دارت عليك الأيام، وبُدِّل الحال.[1]

الصفة الثانية: الحلم.

وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل[2]، وهي إذا سفه عليهم السفهاء بالقول السيء لم يقابلوهم بمثله، بل يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرا، وكان ﷺ لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلما.[3]وكما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ ﴾ [القصص: 55].

وقال تعالى: ﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ [الرعد: 22].

الدلالات:

لقد بين لنا النبي ﷺ أن القوة المعتبرة ليست هي القوة البدنية التي بها يغلب الرجل الناس، إنما هي القوة الايمانية التي بها يضبط الانسان نفسه ويتحكم في تصرفاته عند هيجان نار الغضب في قلبه[4]، فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ، قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ[5] إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ».[6]

---

[1] ينظر: موسوعة الأخلاق، ابن القيم.

[2] إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ج3، ص176، (لا.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت).

[3] تفسير المراغي، المراغي، ج19، ص36.

[4] فتح المنان في صفات عباد الرحمن، وحيد بن عبد السلام بالي، ص26، (ط: 1، لا.م: دار ابن رجب، 2003م. 1424هـ).

[5] الصُّرَعةُ: بضم الصاد وفتح الراء: المبالغ في الصراع الذي لا يغلب، فنقله إلى الذي يغلب نفسه عند الغضب ويقهرها، النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة صرع، ج3، ص24.

[6] رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب، رقم الحديث (2609).

فقد كان أبو بكر الصديق رجلا ميسور الحال، فكان ينفق على رجل من أقاربه يدعى مسطح[1]، فلما افترى المنافقون حادثة الإفك تكلم فيها مسطح، فحلف أبو بكر أن لا ينفق عليه، فنزل قول الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ ﴾ [النور: 22].

فقال أبو بكر: « لا، نحب أن يغفر الله لنا» وعاد إلى الانفاق عليه.[2]

الهدايات المستنبطة:

ـ قالُوا سَلاماً بيان لحالهم في المعاملة مع غيرهم إثر بيان حالهم في أنفسهم أو بيان لحسن معاملتهم[3]، وكما قال ابن باديس[4]: إذا قيل للجاهل سلاما، فيجوز قولها كذلك للكافر وذلك كما قال إبراهيم لأبيه: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ ﴾ [مريم: 47]، وقد قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الممتحنة: 4]، ولم يستثن إلاّ قوله لأبيه: ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ [الممتحنة: 4]، وبذلك يكون سلام موادعة ومتاركة، لا سلام تحية وكرامة.[5]

ـ فالحلم من أشرف الأخلاق وأحقّها بذوي الألباب؛ لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد، فمن أسبابه الباعثة على ذلك: الرحمة للجهال، الرغبة فيما عند الله من الثواب، الترفع عن السباب والنطق بالألفاظ البذيئة، الاستحياء من جزاء الجواب...[6]

---

[1] هو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصيّ المطلبيّ، كان اسمه عوفا، وأمه بنت خالة أبي بكر، أسلمت، وأسلم أبوها قديما، وكان أبو بكر يمونه لقرابته منه، ومات مسطح سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان، ويقال: عاش إلى خلافة عليّ وشهد معه صفّين، ومات في تلك السّنة سنة 37، (الاصابة في تمييز الصحابة، ج6، ص74).

[2] رواه البخاري، كتاب المغازي، باب حادثة الافك، رقم الحديث (3910).

[3] روح المعاني، الآلوسي، ج10، ص44.

[4] عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس الصنهاجي، ولد سنة (1308هـ/1889م) من أسرة معروفة بالعلم والجاه والثراء، فمن آثاره : تفسيره هذا مجالس التذكير، من هدي السنة وغيرهما، وبعد حياة حافلة بجلائل الأعمال، لقي عبد الحميد بن باديس ربه- راضيا مرضيا- في 8 من ربيع الأول سنة 1359هـ (16 من إبريل سنة 1940م) إثر مرض قصير لم يطل. (مجالس التذكير، ص14).

[5] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص197.

[6] أدب الدنيا والدين، الماوردي، ص252، (لا.ط، لا.م: دار مكتبة الحياة، 1986م).

فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين ومن والاهم من اتسموا بهذه الصفة الجليلة:

حِلْم ابن عبَّاس رضي الله عنهما:

سبَّ رجلٌ ابن عبَّاس رضي الله عنهما، فقال ابن عبَّاس: (يا عكرمة هل للرَّجل حاجة فنقضيها؟ فنكَّس الرَّجل رأسه، واستحى ممَّا رأى مِن حلمه عليه).[1]

حِلْم عمر بن عبد العزيز:

وأسمع رجلٌ عمر بن عبد العزيز بعضَ ما يَكْره، فقال: (لا عليك، إنَّما أردتَ أن يَسْتفزَّني الشَّيطان بعزَّة السُّلطان، فأنال منك اليوم ما تنالُه منِّي غدًا، انصرفْ إذا شئت).[2]

حِلْم الشَّيخ ابن باز:

قبل سنتين مِن وفاته رحمه الله، كان في الطَّائف، وفي يومٍ مِن الأيَّام جاء سماحته مِن الدَّوام، ودخل مجلسه، فحيَّا الجموع التي كانت تأتي كالعادة إليه، وفي هذه الأثناء دخل عليه رجلٌ ثائر، ومعه أوراق يطلب فيها شفاعة الشَّيخ؛ ليحصل على مال؛ ليتزوَّج، فشرع الرَّجل يتكلَّم بصوت مرتفعٌ أزعج الحاضرين في المجلس، فوجَّهه سماحة الشَّيخ بما يلزم، وقال: اذهب إلى فلان في بلدكم الفلاني، واطلب منه أن يكتب لكم تزكية، ويقوم باللَّازم، ثمَّ يرفعه إلينا، ونحن نكمل اللَّازم، ونرفع إلى أحد المحسنين في شأنك.

فقال الرَّجل: يا شيخ ارفعها إلى المسؤول الفلاني -يعني أحد المسؤولين الكبار- فقال سماحة الشَّيخ: ما يكون إلَّا خير، فرفع الرَّجل صوته، وأخذ يكرِّر: لابدَّ أن ترفعها إلى فلان، وما زال يردِّد، وما زال الشَّيخ يلاطفه، ويرْفق به، ويعِدُه بالخير، حتى إنَّ الحاضرين تكدَّروا، وبدا الغضب مِن على وجوههم، بل إنَّ بعضهم هَمَّ بإخراج الرَّجل، ولكنَّهم تأدَّبوا بحضرة الشَّيخ. ولم يرغبوا بالتَّقدُّم بين يديه. فقال الرَّجل: يا شيخ! عمري يزيد على الخمسين، وما عندي زوجة، وما بقي مِن عمري إلَّا القليل، فتبسَّم سماحة الشَّيخ، وقال: يا ولدي إن شاء الله، ستتزوَّج، ويزيد عمرك إن شاء الله على التَّسعين، وسنعمل ما نستطيع في تلبية طلبك.

فما كان مِن ذاك الرَّجل الثائر المستوفز إلَّا أن تَبلَّجت أساريره، وأقبل على سماحة الشَّيخ، وأخذ برأس الشَّيخ يُقَبِّله، ويدعو له، فلمَّا همَّ بالانصراف، ودَّع الشَّيخ، فقال له سماحته: لا نسمح لك؛ غداؤك معنا،

[1] إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ج3، ص178.

[2] العقد الفريد، ابن عبد ربه ، ج2، ص138، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1404هـ).

فقال: يا شيخ أنا على موعد، فقال له الشَّيخ: هذا الهاتف اعتذر، فما زال يحاول التَّخلُّص، وما زال سماحة الشَّيخ يلحُّ عليه بتناول الغداء، ولم يقبل سماحته الاعتذار إلَّا بعد لَأْيٍ وجَهْد.

حينئذٍ تعجَّب الحاضرون مِن تحمُّل الشَّيخ، وأصبحت تُرَى الدَّهشة بادية على وجوههم، فكأنَّه أعطاهم درسًا عمليًّا في فضل الحِلْم، وحميد عاقبته.[1]

الصفة الثالثة: التهجد.

بعد ذكر معاملتهم لأنفسهم ولغيرهم، ذكر تعاملهم مع خالقهم عز وجل، وخص قيام الليل بالذكر لأنه أبعد عن الرياء، وأشد أصرا في تهذيب النفس كما أخبر المولى عن ذلك في قوله: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ﴾ [المزمل: 6].

الدلالات:

قال ابن عباس: « مَنْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ بَعْدَ الْعِشَاءِ فَقَدْ بَاتَ لِلَّهِ سَاجِدًا وَقَائِمًا».[2]

فهذه الآية من آيات الحث على قيام الليل، مثل قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: 16].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ ﴾ [الإسراء: 79].

وقد بينت السنة المطهرة مقداره، فثبت في الموطأ من طريق أبي سلمة عن عائشة رضي الله تعالى عنها: «أن رسول الله ﷺ، ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعا فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً لا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً»[3].

وثبت عند مسلم من طريق سعد بن هشام، عن عائشة رضي الله عنها بأنه: «كان يفتتح صلاته بالليل بركعتين خفيفتين، فتلك ثلاث عشرة»[4].

---

[1] جوانب من سيرة الشيخ ابن باز، محمد بن ابراهيم الحمد، ص115، islamhouse.com.

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13، ص72.

[3] أخرجه مالك في الموطأ، كتاب صلاة الليل، باب صلاة النبي ﷺ في الوتر، رقم الحديث (263).

[4] رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم الحديث (767).

وقد ثبت ذلك في الموطأ من طريق عروة عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة»[1].

وهذا هو الغالب من أحواله، وقد كان يصلي أقل منه في بعض الأحوال.

فقد ثبت عند البخاري من طريق مسروق عن عائشة رضي الله عنها أيضا: «أن صلاته ﷺ بالليل سبع، وتسع، وإحدى عشرة سوى ركعتي الفجر»[2].

وفي هذه السنة العملية الثابتة بيان للقدر الأكمل، الذي يكون به العبد ممن يصدق عليهم هذا الوصف من صفات عباد الرحمان.[3]

الهدايات المستنبطة:

ـ أن البيتوتة هاهنا أن يدركك الليل سواء نمت أو لم تنم.[4]

ـ تخصيص العبادة بالبيتوتة، لأن العبادة بالليل أحمص وأبعد عن الرياء.[5]

ـ فمن المعلوم أن قيام الليل عسير على الخلق، إلا على من يسره الله عليه، وهناك أمور لو تمسك بها يسر عليه قيام الليل، وهذه الأمور تكون ظاهرة وباطنة:

فالأول منها: أن لا يكثر الأكل والشرب، وأن لا يتعب نفسه في النهار، وأن لا يترك القيلولة بالنهار، وفي الأخير أن يتجنب ارتكاب المعاصي.

والثاني: سلامة القلب من الحقد على المسلمين، وأن يكون خوفه غالبا يلزم القلب، مع معرفة فضل قيام الليل، وتذكر حلاوة المناجاة والوقوف بين يدي الله.[6]

---

[1] أخرجه مالك في الموطأ، كتاب صلاة الليل، باب صلاة النبي ﷺ في الوتر، رقم الحديث (264)، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل وعدد ركعات النبيﷺ، رقم الحديث (737).

[2] رواه البخاري، كتابا لتهجد، باب كيف كانت صلاة النبي ﷺ ، رقم الحديث (1088).

[3] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص200.

[4] روح المعاني، الآلوسي، ج10، ص44.

[5] تفسير المراغي، المراغي، ج19، ص37.

[6] إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، ج1، ص357.

الصفة الرابعة: الخوف من الله.

إن المؤمن يعيش بين الخوف والرجاء، فمع خشوعهم وقيامهم بالليل يخشون ربهم أن يردها عليهم، ويتهمون أنفسهم بعد أدائها على الوجه الأكمل بعدم صدق النية والإخلاص فيها لله تعالى[1]، يقول عز من قائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: 60]، فهم مع طاعتهم مشفقون خائفون وجلون من عذاب الله.[2]

فهذه صفة كل مؤمن، يجتهد في الطاعات ويخاف عذاب الله تبارك وتعالى كما قال سبحانه[3]: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمۡ غَيۡرُ مَأۡمُونٍ ﴾ [المعارج: 27 . 28]، وما رأوا جهنم، ولكنهم آمنوا بوجودها، وتمثلوا صورتها مما جاءهم في القرآن الكريم وعلى لسان رسول الله الكريم.

فكيف لا يخافون وهو القائل: ﴿ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴾ [المرسلات: 32].

وقال أيضا: ﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ﴾ [الإنسان: 4].

وقال أيضا:﴿ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٖ وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [إبرهيم: 49 . 50].

فهذا الخوف النبيل إنما هو ثمرة الإيمان العميق، وثمرة التصديق.

وهم يتوجهون إلى ربهم في ضراعة وخشوع ليصرف عنهم عذاب جهنم. لا يطمئنهم أنهم يبيتون لربهم سجدا وقياما فهم لما يخالج قلوبهم من التقوى يستقلون عملهم وعبادتهم، ولا يرون فيها ضمانا ولا أمانا من النار، إن لم يتداركهم فضل الله وسماحته وعفوه ورحمته، فيصرف عنهم عذاب جهنم[4]، ومن المعلوم أنه لا يسكن الخوف من النار قلب العبد إلا إذا تخيلها وتصورها، ولا يتسنى له ذلك إلا بمعرفة الأخبار الواردة فيها.[5]

---

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن، مصطفى مسلم، مج5، ص319،

[2] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13، ص72.

[3] فتح المنان في صفات عباد الرحمن، وحيد بن عبد السلام بالي، ص45.

[4] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج5، ص2578.

[5] فتح المنان في صفات عباد الرحمن، وحيد عبد السلام بالي، ص45.

ثم ذكر تعالى أن علة سؤالهم ودعائهم شيئان:

الأول: {إِنَّ عَذابَها كانَ غَراماً} أي إن عذابا كان ملازما دائما للإنسان العاصي، لزوم الدائن الغريم لمدينه، أو هلاكا وخسرانا لازما.

الثاني: {إِنَّها ساءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقاماً} أي إن جهنم بئس المنزل مستقرا ومنظرا يستقر فيه، وبئس المقيل مقاما. وهذا أمر لا شك فيه يعلمه كل من اكتوى بشيء من نار الدنيا.[1]

الدلالات:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « اقرأ علي، قال قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري، قال فقرأت النساء حتى إذا بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾[النساء: 41]، قال لي: كف أو أمسك ». فرأيت عينيه تذرفان.[2]

وعن أنس ﷺ قال: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا» قال: فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشدّ منه، قال: غطّوا رءوسهم ولهم خنين[3].[4]

وعن عبدالله بن الشخير عن أبيه قال: «أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء».[5]

وعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ، قال لِأُبيّ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ»، قَالَ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «اللهُ سَمَّاكَ لِي»، قَالَ: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي.[1]

---

[1] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص108.

[2] رواه البخاري، كتاب ، باب البكاء عند قراءة القرآن، رقم الحديث (4768).

[3] الخَنِينُ: من بكاء النساء دون الانْتِحابِ وقيل هو تَرَدُّد البكاء حتى يصير في الصوت غُنَّةٌ وقيل هو رفع الصوت بالبكاء. لسان العرب، مادة خنن، ج13، ص142.

[4] رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب توقير النبي ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه، (رقم الحديث 2359).

[5] الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي أبو عيسى، ص263، (لا.ط، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1412هـ)، تحقيق: سيد عباس الجليمي.

وعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْتِي قَالَ: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَا يَمْلِكُ دَمْعَهُ فَلَوْ أَمَرْتَ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: «لِيُصَلِّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ».[2]

وأن عبد الرحمن بن عوف ﷺ عنه أتي بطعام وكان صائما فقال: «قتل مصعب بن عمير وهو خير مني كفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه . وأراه قال وقتل حمزة وهو خير مني ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام».[3]

فقد بينت السنة كذلك كيفية الاتقاء من النار، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: « اتقوا النار ولو بشق تمرة».[4]

الهدايات المستنبطة:

ـ المراد بصرف العذاب إنجاؤهم منه بتيسير العمل الصالح وتوفيره واجتناب السيئات.[5]

ـ إن ملازمة العذاب في الآخرة على قدر ملازمة المعاصي في الدنيا.

ـ وضعت العبادة في الدين على خوف العقاب، ورجاء الثواب، لما في ذلك من إظهار غاية عبودية العبد بضعفه وافتقاره، أمام ربه الغني الرحيم القوي المتين.[6]

---

[1] رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل...، (رقم الحديث 799).

[2] رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب استخلاف الامام إذا عرض عليه عذر من مرض وسفر...، (رقم الحديث 418).

[3] رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا لم يوجد إلا ثوب واحد، (رقم الحديث 1216).

[4] رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق من التمر، (رقم الحديث 1351).

[5] التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج19، ص70.

[6] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص201. 203.

الصفة الخامسة: الاعتدال والتوسط في النفقة.

الإسلام دين العدل والوسطية في جميع شؤون الحياة كما قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾ [البقرة: 143].

فقد وجه رب العزة والجلال رسوله ومن ورائه أمته بقوله: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ﴾ [الإسراء: 29]، وهذا الاعتدال يكون في الإنفاق على الملذات المباحة، أما في الأمور المطلوبة شرعا فلا يقال فيها سرف[1]، قال الحسن البصري: ليس في النفقة في سبيل الله سرف. وقال إياس بن معاوية: ما جاوزت به أمر الله تعالى فهو سرف.[2]

الدلالات:

فقد حث سبحانه وتعالى على الانفاق وبين فضله في مواضع عدة؛ حيث قال: ﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ ﴾ [سبأ: 39].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: 272].

وقال أيضا: ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾ [الليل:8 . 11].

وقال أيضا: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [التغابن: 16].

كما أن الأحاديث النبوية جاءت تحث على ذلك أيضا:

فعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: « مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا».[3]

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن، مصطفى مسلم، مج5، ص319.

[2] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص108.

[3] رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب في المنفق والمسرف، (رقم الحديث 1010).

وعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قال: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ».[1]

وعن عائشة رضي الله عنها، أنهم ذبحوا شاة، فقال النبي ﷺ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا»؟ قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا».[2]

قال يزيد بن أبي حبيب: أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا يأكلون طعاما للتنعم واللذة، ولا يلبسون ثيابا للجمال، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع، ويقوّيهم على عبادة ربهم، ومن اللباس ما يستر عوراتهم، ويكفهم من الحر والبرد.

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوّجه ابنته فاطمة: ما نفقتك؟ قال عمر: الحسنة بين سيئتين، ثم تلا هذه الآية، وقال لابنه عاصم: يا بنى كل في نصف بطنك، ولا تطرح ثوبا حتى تستخلقه، ولا تكن من قوم يجعلون ما رزقهم الله في بطونهم وعلى ظهورهم.[3]

الهدايات المستنبطة:

ـ النفقة في معصية الله محظورة حظرتها الشريعة قليلة كانت أو كثيرة، وكذلك التعدي على مال الغير.[4]

ـ أن سبب البخل راجع إلى حب المال، فمن الواجب على المسلم أن يكون في كل أموره وسطا، بين الإسراف والتبذير، والبخل والتقتير.[5]

حالة وطننا في الأعم الأغلب في الولائم والمآتم لا تخلو من السرف فيها، الذي يؤدي إلى التقتير من بعدها فيكون الإثم قد أصاب صاحبها بنوعيه، وأحاط به من ناحيتيه، والشر يجر إلى الشر، والإثم يهدي إلى مثله، وعلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين علق كثير ممن سمعناهم يشكون هذه الحالة– آمالهم في معالجتها، خصوصاً في المآتم. حقق الله الأمال.

وثم نوع آخر موجود في غالب القطر، وبكثر في بعض الجبال، وهو أن بعض المأمورين من شيوخ الطوائف، يأتون بثلة من أتباعهم، فينزلون على المنتمين إليهم من ضعفاء الناس، فيذبح لهم العناق إن كانت،

---

[1] رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع، (رقم الحديث 2588).

[2] رواه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، (رقم الحديث 2570)

[3] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13، ص73.

[4] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص115.

[5] فتح المنان في صفات عباد الرحمن، وحيد بن عبد السلام بالي، ص64.

ويستدين لشرائها إن لم تكن، ويفرغ المزاود، ويكنس لهم ما في البيت، ويصبح معدماً فقيراً مديناً، ويصبح من يومه صبيته يتضاغون، ويمسي أهل ذلك البيت المسكين يطحنهم البؤس، ويميتهم الشقاء ميتات متعددة في اليوم.

وشر ما في هذا الشر أنه يرتكب باسم الدين، ويحسبه الجهال أنه قربة لرب العالمين: فأما إذا جاء وقت شد الرحال إلى الأحياء والأموات، وتقديم النذور والزيارات، فحدث هنالك عن أنواع السرف والكلفات، والتضييع للحقوق والواجبات.[1]

الصفة السادسة: قبول المواعظ.

إن من صفات عباد الرحمن المؤمنين أخذ العظة والعبرة من كل شيء، وعلى رأس ما يتعظ به آيات الله المنزلة على رسوله الكريم، فإذا سمع آيات الذكر الحكيم تتلى، أو كان على وضع فيه عليه ملحظ فذكره أحد الناصحين بآيات من كلام الله تعالى لم يردها عليه بل وعيها وفهم معانيها متدبرا لما تهدي إليه، مقارنا حاله على ضوء هداية الآية بما ينبغي أن يكون الحال عليه، ثم عدّل من سلوكه و فعله و قوله، ولم تأخذه العزة بالإثم فيركب رأسه ويرد على ناصحه بما لا يليق فكم من مخطئ أو متساهل في زماننا عندنا يقال له: يا فلان اتق الله، يرد عليه ويقول: بل أنت اتق الله، فأنا على الصواب. فقبل أن يتدبر عمله ويفكر في كلمة اتق الله فلقد خاطب الله جل جلاله نبيه المعصوم الذي غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر[2] بقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ [الأحزاب:1].

كما أن آيات ربهم تشمل الآيات الكونية، التي يستدل من خلال التمعن فيها وأوضاعها وهيئاتها على النظام التام الذي يسود أجزاءه ومجراته ونجومه وكواكبه، ويستدل من خلال ذلك على الخالق المبدع، بخلاف الكافر الذي لا يهمه مما حوله إلا ما يوفر له اللذة الفانية والمتعة الدنيوية العابرة، فهو أصم وأعمى عن هدايات تلك الآيات ما كان منها وحيا، وما كان آية مرئية أو مسموعة مما يحيط به من حوله.[3]

[1] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص218.

[2] المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان، مصطفى مسلم، ص188.

[3] التفسير الموضوعي لسور القرآن، مصطفى مسلم، مج5، ص323.

الدلالات:

لقد دلت آيات الذكر الحكيم حال المؤمن الذي إذا جاءه أمر من الله ورسوله سارع بتنفيذها، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 51].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: 65].

فعباد الرحمن لا يأتمرون إلا بأمر الله، ولا يقتدون إلا برسول الله ﷺ ، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم مثلا يحتذى به في المسارعة إلى تنفيذ أمر الله، فكان كثير من الصحابة يشربون الخمر، فلما نزلت آية تحريمه في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ۝٩١ ﴾ [المائدة: 90 . 91]، فقالوا انتهينا ربنا! انتهينا ربنا! وأقلعوا من ساعتهم.[1]

الهدايات المستنبطة:

ـ حسن تدبر القرآن و الاستماع لتلاوته والاتعاظ بمواعظه والعمل بهدايته.[2]

[1] فتح المنان في صفان عباد الرحمن، وحيد بن عبد السلام بالي، ص123، 125.

[2] أيسر التفاسير، أبو بكر جابر الجزائري، ج3، ص635.

الصفة السابعة: الابتهال إلى الله تعالى والدعاء له.

من أصول العبادة الابتهال إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والالتجاء إليه في كل شيء، والدعاء مطلوب في أمور الدنيا كما هو مطلوب في أمور الآخرة، ومما يجمع به خيري الدنيا والآخرة الذرية الصالحة، فبهم تقر الأعين في الحياة الدنيا، وهم استمرار لعمل المرء بعد مماته وانقطاع عمله.

والإمامة في الدين مرغوب فيها بموجب هذه الآية الكريمة، فدعاء عباد الرحمن لم يقتصر على طلب الذرية الصالحة التي تخلفه من بعده، بل يدعون أن يكونوا هم وذرياتهم أئمة في الدين يقتدى بهم، هداة مهتدين يتعدى نفعهم وخيرهم إلى غيرهم من الناس[1]، لذا كان من دعاء خليل الرحمن: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾ [الشعراء: 84].

الدلالات:

ففي الذرية الصالحة حياة مديدة للآباء والأمهات، وعمل صالح مستمر، يقول رسول الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ».[2]

وعباد الرحمن يدعون ربهم أن يرزقهم التقوى، وأن يجعلهم أئمة يقتدى بهم في الخير، والله تبارك وتعالى يأمرنا بالتقوى[3]، فيقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:102].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ [الأحزاب: 70].

وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق: 2 .3].

الهدايات المستنبطة:

- سمو الروح وعلو الهمة وطلب الكمال والقدوة في الخير.[4]
- جواز الدعاء بالولد، وللولد وللزوجة، وبأن يكون نفع الإنسان شاملا غيره.[5]

---

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن، مصطفى مسلم، مج5، ص324.

[2] رواه مسلم، كتاب الوصية، باب ما يلحق الانسان من الثواب بعد وفاته، رقم الحديث (1631).

[3] فتح المنان في صفات عباد الرحمن، وحيد بن عبد السلام بالي، ص148.

[4] أيسر التفاسير، أبو بكر جابر الجزائري، ج3، ص635.

[5] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص117.

كان الأعرابي الجاهل المشرك يأتي للنبي ﷺ فيؤمن به، ويصحبه يتعلم منه الدين، ويأخذ عنه الهدى، فيستنير عقله بعقائد الحق، وتتزكى نفسه بصفات الفضل، وتستقيم أعماله على طريق الهدى؛ فيرجع إلى قومه هادياً مهدياً، إماماً يقتدى به ويؤخذ عنه كما اقتدى هو بالنبي ﷺ وأخذ عنه.

فعلى كل مؤمن أن يسلك هذا السلوك، فيحضر مجالس العلم التي تذكره بآيات الله، وأحاديث رسوله ما يصحح عقيدته، ويزكي نفسه، ويقوِّم عمله.[1]

[1] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص240.

صفات التخلّي عن ضلالات أهل الشرك.

سأذكر في هذا المبحث الصفات التي يجب على المسلم التخلي والابتعاد عنها، وذلك مع شرح كل صفة، وذكر الدلالات والهدايات المستنبطة من كل واحدة منها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٧٠ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ٧١ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ٧٢ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ٧٣ ﴾

علاقة الآيات لما قبلها:

لما أثبت لهم أصول الطاعات في الآيات المتقدمة، نفى عنهم أمهات المعاصي في هذه الآية؛ تنبيهاً على أن الإيمان الكامل هو ما تثبت معه الطاعات وتنتفي المعاصي، وذلك هو غاية الامتثال للأوامر والنواهي.

وفيه تعريض بما كان عليه المشركون من الاتصاف بهذه المعاصي من دعائهم آلهتهم مع الله، وقتلهم النفس وارتكابهم فاحشة الزنا.

وقدم إثبات الطاعات على انتفاء المعاصي؛ تنبيهاً على أن من راض نفسه على الطاعة ودانت نفسه بالإخبات والانقياد للأوامر الشرعية، ضعفت منه أو زالت دواعي الشر والفساد، فانكف عن المعصية.[1]

فكان نفيهم عن هذه القبائح من حسن معاملتهم للناس ومزيد خوفهم من الله وإحياء الليل يقتضى نفيها عنهم، تعريضا بما كان عليه أعداؤهم من قريش وغيرهم، وتنبيها إلى الفرق بين سيرة المؤمنين وسيرة المشركين.[2]

[1] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص219.

[2] تفسير المراغي، المراغي، ج19، ص39.

وقد يستغرب المتدبر للآيات الكريمة المشتملة على صفات عباد الرحمن نفي الشرك عنهم ونفي القتل، ونزاهتهم عن الزنى، بعد ذكر تحليهم تلك الخصال العظيم؛ من التواضع والحلم، وقيام الليل، الخوف من الله، والاعتدال في الانفاق، فما الحكمة من ذكر هذه القبائح العظيمة في هذا السياق؟

أن الحكمة في ذلك التعريض بما كان عليه أعداؤهم الكفار، فكأنه قيل لهم: والذين طهرهم الله تعالى وبرأهم مما أنتم عليه معشر الكفار من الإشراك، وقتل النفس المحرمة كالموءودة والزنا.

وسواء أدركنا الحكمة من ذكر هذه الخصال الذميمة، أو لم ندرك فإن التذكير بالابتعاد عنها من الأمور الهامة.[1]

المعنى الاجمالي:

إن توحيد الله أساس هذه العقيدة، ومفرق الطريق بين الوضوح والاستقامة والبساطة في الاعتقاد والغموض والالتواء والتعقيد، الذي لا يقوم على أساسه نظام صالح للحياة.

والتحرج من قتل النفس مفرق الطريق بين الحياة الاجتماعية الآمنة المطمئنة التي تحترم فيها الحياة الإنسانية ويقام لها وزن وحياة الغابات والكهوف التي لا يأمن فيها على نفسه أحد ولا يطمئن إلى عمل أو بناء.

والتحرج من الزنا هو مفرق الطريق بين الحياة النظيفة التي يشعر فيها الإنسان بارتفاعه عن الحس الحيواني الغليظ، ويحس بأن لالتقائه بالجنس الآخر هدفا أسمى من إرواء سعار اللحم والدم، والحياة الهابطة الغليظة التي لا هم للذكران والإناث فيها إلا إرضاء ذلك السعار.[2]

ثم توعد سبحانه على من يفعل مثل هذه الأفعال بشديد العقاب، ومن يفعل خصلة من خصال الفجور السالفة، يلق في الآخرة جزاء إثمه وذنبه الذي ارتكبه، بل سيضاعف له ربه العذاب يوم القيامة ويجعله خالدا أبدا في النار مع المهانة والاحتقار، فيجتمع له العذاب الجسمي والعذاب الروحي.

وبعد أن أتم تهديد الفجار على هذه الأوزار أتبعه بترغيب الأبرار في التوبة والرجوع إلى حظيرة المتقين فيفوزون بجنات النعيم.[3]

---

[1] المعجزة والرسول، مصطفى مسلم، ص179.

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج5، ص2579.

[3] تفسير المراغي، المراغي، ج19، ص39.

كما وصفهم كذلك هنا ببعدهم عن الباطل ومشاهده ومجانبتهم لأهله، وأخبر عنهم أنهم لا يقفون عند اللغو عندما يمرون عليه، تَرَقيا في وصفهم بالبعد عن الباطل والإثم والعبث، ومجانبة أهله[1]، ذلك بأنهم لا يشهدون شهادة الزور وهي الكذب متعمدا على غيره، أو لا يحضرون مواضع الكذب، و الواقع أن الآية تدل على أمرين: تحريم شهادة الزور وتجنب مجالس اللغو أو العفو عن المسيء.[2]

لما وصفهم فيما تقدم بإعراضهم عن الباطل، ومجانبتهم لأهله، وبعدهم عنه، وصفهم هنا بإقبالهم على الحق، وإكبابهم عليه، متفهمين مستبصرين[3].

وسأبدأ في عد هذه الصفات وهي كالآتي:

مجانبة الشرك، اجتناب القتل، الإعراض عن الزنى، تجنب الزور قولا أو شهادة.

وبالتفصيل هي كالآتي:

مجانبة الشرك:

وكأن في ذكر هذه الكبائر في هذا السياق وبيان تنزه عباد الرحمن عنها تعريضا بما كان عليه أعداؤهم من المكذبين بالقرآن والرسول الذي جاء به، والشرك بالله من أكبر الكبائر على الإطلاق، وقد صرح القرآن الكريم أن الذنوب جميعها تحت مشيئة الله تعالى إن لم يتب عنها المذنب إن شاء غفرها وإن شاء عاقب عليها، إلا الشرك فلا تجاوز عن المشرك[4] بقوله جلا وعلا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء: 116].

وقوله أيضا: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾ [المائدة: 72].

وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ [النساء: 36].

وقال أيضا: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: 23].

---

[1] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، 229.

[2] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص111.

[3] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، 233.

[4] التفسير الموضوعي لسور القرآن، مصطفى مسلم، مج5، ص319.

الدلالات:

للتفصيل أكثر في هذا الرجوع إلى أسباب النزول.[1]

الهدايات المستنبطة:

ـ على المسلم الذي يعمل لتزكية نفسه، أن يواظب على الطاعات بأنواعها، أن يجتهد في حصول الأنس بها، والخشوع فيها؛ فإن ذلك زيادة على ما يثبت فيه من أصول الخير، يقلع منه أصول الشر ويميت منه بواعثه.

ـ قامت الشريعة على المحافظة على حقوق الله، وحقوق عباده، وحق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً؛ فمن دعا مع الله غيره، وأشرك به سواه، فقد أبطل حق الله وأعدم عبادته.[2]

ـ فقد اشتمات هذه الآية على الدعاء، وفي خضم هذا سيكون الحديث على الدعاء، وأنواعه، وأين تنصب هذه الآية:

فالدعاء هو الرغبة إلى الله عز وجل[3]، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: 60]، ويشتمل دعاء المسألة ودعاء العبادة:

أما دعاء المسألة: فإنه يسأل الله تعالى في كل مطلوب باسم يناسب ذلك المطلوب ويقتضيه، فمن سأل رحمة الله ومغفرته دعاه باسم الغفور الرحيم، ومن سأل الرزق سأله باسم الرزاق، وهكذا، وقد جاءت الآيات تبين ذلك

وأما دعاء العبادة: فهو التعبد لله تعالى بأسمائه الحسنى، فيفهم أولاً معنى ذلك الاسم الكريم، ثم يديم استحضاره بقلبه، حتى يمتلئ قلبه منه،[4] وهذه الأخيرة فقد اشتملت على آية الباب، حيث أن الذكر الحكيم عبر عن الدعاء بالعبادة، لأن الدعاء مخ العبادة وخلاصتها؛ فإن العابد يظهر ذله أمام عز المعبود، وفقره أمام غناه، وعجزه أمام قدرته، وتمام تعظيمه له وخضوعه بين يديه.[5]

---

[1] ص26.

[2] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص220.

[3] لسان العرب، ابن منظور، ج14، ص257.

[4] القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، ص128، (ط:1، الرياض: مكتبة الرشد، 1420هـ. 1999م).

[5] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص221.

وقد جاء التنبيه على هذا في السنة المطهرة: فعن النعمان بن بشيرﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ» ثم قرأ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ ﴾ [غافر: 60].[1]

ـ التوحيد أساس الدين، والذي ينافيه ويضاده الشرك، يقال: شركته في الأمر إذا صرت له شريكاً، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾ [طه: 32] أي اجعله شريكي فيه.

فالشرك في مصطلح الشريعة نوعان:

الشرك الأكبر: والمشرك شركا أكبر هو الذي يجعل مع الله رباً آخر، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: 22].

الشرك الأصغر: كيسير الرياء، والتصنع للمخلوق، وعدم الإخلاص لله تعالى في العبادة، بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة، ولطلب المنزلة والجاه تارة، فلله من عمله نصيب، ولغيره منه نصيب، ويتبع هذا النوع الشرك بالله في الألفاظ كالحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، وما لي إلا الله وأنت.[2]

فما أكثر ما تسمع في دعاء الناس "يا ربي والشيخ"، "يا ربي وناس ربي"، "يا ربي والناس الملاح"، وهذا من دعاء غير الله، فإياك أيها المسلم وإياه، وادع الله ربك وخالقك وحده.[3]

لقد سادت هذه الحالة العالم الإسلامي، فانتهوا إلى جاهلية كجاهلية العرب في الدين لا في اللسان والبيان، فقد ارتقى العرب أيام جاهليتهم في معرفة معاني الكلام والإبانة عما في أنفسهم بالألفاظ المؤدية لأصل المعنى، ولكن المسلمين شمل انحطاطهم هذه الناحية أيضاً؛ فلم يكونوا مثل أولئك العرب في فصاحة اللسان ووضع الأسماء على مسمياتها؛ فتراهم يعتقدون في الغوث والقطب وصاحب الكشف والتصريف معنى الألوهية، ولكن لا يسمونهم آلهة!! ويخضعون لأوليائهم ويخشونهم كخشية الله أو أشد، ولا يسمون ذلك عبادة!![4]

---

[1] رواه أحمد، مسند النعمان بن بشير، رقم الحديث (18352).

[2] العقيدة في الله، سليمان الأشقر، ص264 . 266، (ط:12، الأردن: دار النفائس، 1419هـ . 1999م).

[3] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص222.

[4] رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي، ص162، (ط:1، لا.م: دار الراية، 1422هـ . 2001م)، تحقيق: أبي عبد الرحمن محمود.

اجتناب القتل:

لقد حرم الإسلام قتل النفس المعصومة إلا في حالات تستحق النفس فيها القتل، لأنها ارتكبت من الجرائم ما أزال عصمتها، فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّي ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ [الإسراء: 33].

وقال أيضا: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: 32].

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن هذه الحالات التي تهدر فيها النفس فتستحق القتل، بقوله: « لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ».[1]

قال بعض العلماء: إن الشرك والقتل والزنى كلها صور للقتل، فالشرك قتل للنفس بتخليدها في النار، وإذا ارتد المسلم فأشرك استحق القتل حدّا، وقتل الغير قتل جلي، والنوع الثالث من القتل هو القتل الخفي بتضييع نسب الولد بالزنى.[2]

والحكمة من هذا كله أن الله أوجد الإنسان ليعمّر به الأرض، فالإقدام على إتلاف نفس هدم لما أراد الله بناءه، على أنه قد تواتر وشاع بين الأمم في سائر العصور والشرائع من عهد آدم صون النفوس من الاعتداء عليها بالإعدام، فبذلك وصفت بأنها التي حرم الله[3]، إلا أ ن الاسلام كان عادلا في هذا الحق، فقد كان في القصاص حياة استنادا لقوله: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾ [البقرة: 179]، أي في القصاص حياة لكم أي لنفوسكم فإن فيه ارتداع الناس عن قتل النفوس، فلو أهمل حكم القصاص لما ارتدع الناس لأن أشد ما تتوقاه نفوس البشر من الحوادث هو الموت، فلو علم القاتل أنه يسلم من الموت لأقدم على القتل مستخفا

[1] رواه الشيخان: البخاري، كتاب الديات، باب قوله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾، رقم الحديث (6484)، ومسلم، كتاب الديات، باب ما يباح به دم المسلم، رقم الحديث (1676).

[2] المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان، مصطفى مسلم، ص180.

[3] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج15، ص92.

بالعقوبات، ولو ترك الأمر للأخذ بالثأر كما كان عليه في الجاهلية لأفرطوا في القتل وتسلسل الأمر، فكان في مشروعية القصاص حياة عظيمة.[1]

الدلالات:

لقد كان في قتل المسلم ترهيب، حيث ذكر ﷻ قائلا: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 93].

وعن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ».[2]

وعن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ المؤمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا».[3]

وسواء كان قتل الانسان لنفسه، أو لغيره، أو كان حاضرا في قتل إنسان ظلما، فكل هذا يعتبر محرم؛ والشاهد على هذا آية الباب، وأحاديث النبي ﷺ التي منها:

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الذي يَخْنق نَفْسَه يخنقها في النَّار، والذي يَطْعَنُهَا يطعنها في النَّار».[4]

وعن أبي بكر ﷺ؛ أن النبي ﷺ قال: «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما»، والمعاهد في الحديث هو الذمي من أهل العهد أي الأمان والميثاق.[5]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقفن عِنْدَ رَجُلٍ يُقْتَلُ فإنَّ اللَّعْنَة تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ و لا تقفن عند رجل يَضْرِبُ مَظْلُومًا فإنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ».[6]

---

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج2، ص145.

[2] رواه مسلم، كتاب الايمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم الحديث (89).

[3] رواه البخاري، كتاب الديات، رقم الحديث (6469).

[4] رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قاتل النفس، رقم الحديث (1299).

[5] رواه البخاري، أبواب الجزية والمواعدة، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم، رقم الحديث (2995).

[6] رواه البيهقي، أحاديث في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، رقم الحديث (7580).

ومن الفتن التي حذر منها النبي ﷺ الهرج؛ حيث قال: « يتقارب الزمان وينقص العلم ويلقى الشح وتظهر الفتن ويكثر الهَرْجُ»، قالوا يا رسول الله أيما هو ؟ قال: « القتل القتل ».[1]

الهدايات المستنبطة:

ـ أن قتل النفس يعتبر كبيرة من الكبائر.[2]

ـ لا يكون قتل النفس إلا بالحق المزيل لحرمتها وعصمتها، فلا يقتلونها في حال من الأحوال إلا حال كونهم ملتبسين بالحق.[3]

فما يحدث الآن في العالم العربي من ثورات، ومن أشنع صور الدمار والقتل وإزهاق النفس بغير الحق التي نراها اليوم في سوريا والعراق وغيرهما، فيعد هذا من أبشع صور القتل المحرم الذي نهى عنه رب العزة والجلال، وأمر بالإصلاح بينهما في قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ ﴾ [الحجرات: 9]، فكان الإصلاح معبر عنه في هذه الآية بالعدل.

النزاهة عن الزنى:

نظم الإسلام الغرائز لدى الفرد وهذبها، فلم يطلق لها العنان للإشباع، ولم يكبتها فيحرمها من نيل نصيبها من الاستمتاع، وإنما أشبعها بطريق منظم لتؤدي وظيفتها الإيجابية في الحياة. وعلى رأس هذه الغرائز غريزة الجنس فشرع النكاح وشرط له شروطا لضمان استمرار النسل البشري من غير اختلاط في الأنساب ليبقى المجتمع متماسك البنيان، سليما من الآفات والأمراض الناجمة من الفوضى الجنسية والانحرافات الخلقية.

---

[1] رواه البخاري، كتاب الفتن، باب ظهور الفتن، رقم الحديث (6652).

[2] أيسر التفاسير، أبو بكر جابر الجزائري، ج3، ص631.

[3] روح المعاني، الآلوسي، ج10، ص47.

الدلالات:

فلقد سمى الله ﷻ عقد الزواج ميثاقا غليظا حيث قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: 21]، ووضع للأعراض سياجا واقيا فمن تعرض لها بمقالة سوء فعليه أن يأتي بأربعة شهداء وإلا جلد على ظهره يقول عز من قائل: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: 4]، ومن تجاوز الحدود ووقع في الفاحشة، فإن كان بكرا جلد مائة جلدة، وإن كان محصنا رجم بالحجارة حتى الموت وذلك في تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النور: 2].[1]

فالمؤمن دائما حافظ لفرجه كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴾ [المؤمنون: 5 ـ 6].

فقد نهي رب العزة والجلال عن الزنى قائلا: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: 32]، فالزنى في اصطلاح الإسلام مجامعة الرجل امرأة غير زوجة له ولا مملوكة غير ذات الزوج. وفي الجاهلية الزنى: مجامعة الرجل امرأة حرة غير زوج له وأما مجامعة الأمة غير المملوكة للرجل فهو البغاء.[2]

وقال أيضا: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأنعام: 151].

كما نهى النبي ﷺ عن هذه الفاحشة وأمر بحفظ الفرج عن الزنى، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ».[3]

---

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن، مصطفى مسلم، مج5، ص320.

[2] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج15، ص90.

[3] رواه البخاري، كتاب الأشربة، رقم الحديث (5256)، ورواه مسلم، كتاب الايمان، باب بيان نقصان الايمان بالمعاصي، رقم الحديث (57).

كما أمر ﷺ بحفظ الفرج من اللواط فروى الترمذي عن جابر ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ».[1]

كذلك أمر بحفظ الفرج عن إتيان المرأة وهي حائض، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ»[2]، وهذا مؤيد بقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: 222].

ثم إن لكل جارحة زنى، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ النُّطْقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ»[3]، وجاء في معنى الحديث أن ابن آدم قدر عليه نصيب من الزنى فمنهم من يكون زناه حقيقيا بإدخال الفرج في الفرج الحرام ومنهم من يكون زناه مجازا بالنظر الحرام أو الاستماع إلى الزنى وما يتعلق بتحصيله أو بالمس باليد بأن يمس أجنبية بيده أو يقبلها أو بالمشي بالرجل إلى الزنى أو النظر أو اللمس أو الحديث الحرام مع أجنبية ونحو ذلك أو بالفكر بالقلب فكل هذه أنواع من الزنى المجازي والفرج يصدق ذلك كله أو يكذبه معناه أنه قد يحقق الزنى بالفرج وقد لا يحققه بأن لا يولج الفرج في الفرج وإن قارب ذلك.[4]

فلقد حذر نبينا محمد ﷺ من هذا الانحراف السلوكي وبين أن انتشاره والاستعلان به هو سبب انتشار الأوبئة الكاسحة وتفشي الموت والهلاك بين بني البشر[5]، حيث قال: «لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا »[6]، وقال أيضا: «ولا فشا الزنى في قوم قط الا كثر فيهم الموت »[7].

---

[1] رواه الترمذي، أبواب الحدود، باب ما جاء في حد اللُّوطِيِّ، رقم الحديث (1457)، وقال: حسن غريب.

[2] رواه الترمذي، أبواب الطهارة، باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض، رقم الحديث (135).

[3] رواه البخاري، كتلب الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج، رقم الحديث (5889)،

[4] رواه مسلم، كتاب القدر، باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره، رقم الحديث (2657).

[5] ولا تقربوا الزنا، مصطفى العدوي، ص39، (ط:1، جدة: دار ماجد عسيرى، 1421هـ. 2000م).

[6] رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم الحديث (4019)، وهو حديث حسن.

[7] رواه مالك في الموطأ، كتاب الجهاد: باب ما جاء في الغلول، رقم الحديث (981).

نعم فلقد تحقق قوله ﷺ في ذلك وهذا ما قرره الطب بهذه الأمراض التي أصيب بها هذا العصر والتي منها الإيدز أو السيدا عفانا الله وإياكم؛ حيث أنه عبارة عن فيروس نقص المناعة المكتسبة الذي يقوم بالهجوم على جهاز المناعة، وهذا الأخير هو جبهة الدفاع التي تهاجم إصابة أي فيروس، فتخيل ماذا يحصل بدونه.

فهذا المرض موجود في كل الشعوب حيث لا يختلف من مكان لآخر، كن من بين الأشخاص المعرضون لهذا المرض هم الشواذ جنسيا الذي من طرق انتشاره السائل المنوي.

فعباد الرحمن يحفظون جوارحهم عن كل ما يغضب الله تبارك تعالى، لأنهم يعتقدون أنهم سيقفون أمام ربهم وسيحاسبون على كل ما قدموه: إن كان خيرا فخير، وإن شرا فشر.[1]

الهدايات المستنبطة:

- يعتبر فعل الزنى محرم لكونها من الكبائر.[2]
- جريمة الزنى هي عدوان على الحقوق وانتهاك للأعراض.[3]
- النهي عن مواطئة الفرج المحرم.[4]

فمن هنا نعلم أن على المسلم الذي يعمل لتزكية نفسه، أن يواظب على الطاعات بأنواعها، وأن يجتهد في حصول الأنس بها، والخشوع فيها؛ فإن ذلك زيادة على ما يثبت فيه من أصول الخير، يقلع منه أصول الشر ويميت منه بواعثه.[5]

ثم توعد سبحانه من يفعل مثل هذه الأفعال بشديد العقاب فقال: (وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً. يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً) أي ومن يفعل خصلة من خصال الفجور السالفة، يلق في الآخرة جزاء إثمه وذنبه الذي ارتكبه، بل سيضاعف له ربه العذاب يوم القيامة ويجعله خالدا أبدا في النار مع المهانة

[1] فتح المنان في صفات عباد الرحمن، وحيد بن عبد السلام بالي، ص97.
[2] أيسر التفاسير، أبو بكر جابر الجزائري، ج3، ص631.
[3] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص109.
[4] روح المعاني، الآلوسي، ج10، ص47.
[5] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص220.

والاحتقار، فيجتمع له العذاب الجسمي والعذاب الروحي[1]، وإنما ضوعف لأهل هذه الكبائر العذاب لأن كل كبيرة منها مضاعفة المفاسد والشرور:

ففي دعاء غير الله الجهل بالله، والكفر بنعمة الله، والإبطال لحق الله.

وفي قتل النفس تأييم وتيتيم وتأليم لغير من قتل وفتح لباب شر بين أولياء القاتل والمقتول، وتَعَدٍّ على جميع النوع، وتهوين لهذا الجرم الكبير.

وفي الزنا جناية على النسل المقطوع، وعلى من أدخل عليهم من الزنا من ليس منهم، وعلى أصحاب الإرث في خروج حقهم لغيرهم، وغير ما ذكرنا في جميعها كثير، فكانت المضاعفة من باب جعل الجزاء من جنس العمل، وهو من مقتضى الحكمة والعدل.[2]

لكن إذا تاب الكافر والقاتل والزاني تقبل توبته، ويبدل الله سيئته حسنة إما في الدنيا على رأي، بأن يجعل الإيمان محل الشرك، والإخلاص محل الشك، والإحصان مكان الفجور، وإما في الآخرة على رأي آخر في من غلبت حسناته على سيئاته. وقيل: التبديل عبارة عن الغفران، أي يغفر الله لهم تلك السيئات، لا أن يبدلها حسنات.

ثم أكّد الله قبول التوبة الصادقة النصوح من كل إنسان.[3]

فعباد الرحمن إذا اقترفوا معصية بحكم ضعفهم البشري، أقلعوا وتابوا وندموا، بل إنهم يشهدون التقصير في أعمالهم، فيتبون إلى ربهم، ويرتمون بين يديه، ويخضعون له، فهم إما تائبون من ذنب اقترفوه، أو من عمل قصّروا فيه، أ من كمال لم يدركوه، أو من نِعَمٍ لم يستطيعوا القيام بشكرها.[4]

فالتوبة: من التوب وذلك على أن التاء والواو والباء كلمة واحدة تدل على الرجوع. يقال تاب من ذنب، أي رجع عنه يتوب إلى الله توبة ومتابا، فهو تائب[5]، قال الله تعالى: ﴿ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾ [غافر: 03].

---

[1] تفسير المراغي، المراغي، ج19، ص40.

[2] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص223.

[3] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص116.

[4] فتح المنان في صفات عباد الرحمن، وحيد بن عبد السلام بالي، ص98.

[5] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج1، ص357.

والتوبة كما قال ابن عاشور: هي الإقلاع عن الذنب، والندم على ما فرط، والعزم على أن لا يعود إلى الذنب، وإذ كان فيما سبق ذكر الشرك فالتوبة هنا التلبس بالإيمان، والإيمان بعد الكفر يوجب عدم المؤاخذة كما اقترفه المشرك في مدة شركه.[1]

فمن هذا التعريف يستنتج أن للتوبة شروطا ثلاثة:

ـ الإقلاع عن الذنب.

ـ الندم على فعل تلك المعصية.

ـ العزم على عدم العودة إلى الذنب.

تجنب الزور:

وهو الترفع عن حضور مجالس الزور واللغو، كما أنه من أشد أنواع الكذب الزور، فأثر هذه الجريمة مضاعف لأن الأصل في الشهادة أن تكون عونا لإبراز الحق وإيصاله إلى صاحبه، فالميل بها عن حقيقتها تعطيل لها عن أداء دورها، والثانية يكون قد ساهم في إلحاق الظلم بآخرين، وتمكين أهل الباطل من تحقيق مآربهم، وهذا مؤيد بقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦۚ ﴾ [الأنعام: 68].

وقوله أيضا: ﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ ﴾ [النساء: 140].

وذهب بعض المفسرين إلى أن الزور يعم كل باطل، أي عدم حضور عباد الرحمن إلى مجالس الباطل، ولعل ذكر مرورهم كراما على اللغو يؤيد هذا التعميم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [القصص: 55].

الدلالات:

لقد عد النبي ﷺ شهادة الزور من الكبائر، فعن أنس رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الكبائر؟ قال: «الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وشهادة الزور».[2]

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج19، ص76.

[2] رواه البخاري، كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، رقم الحديث (2510).

بل عدها ﷺ من أكبر الكبائر، فعن أبي بكرة، عن أبيه، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟» ثَلَاثًا «الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ – أَوْ قَوْلُ الزُّورِ –» وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَّكِئًا، فَجَلَسَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.[1]

فمن الواجب على من يريد أن يسلك مسلك عباد الرحمن ويرتقي إلى الإحسان: أن يبتعد عن مجالس الزور والبهتان، وحلقات اللهو والفسوق والعصيان، وأن يزاحم في مجالس الخير والاحسان، وأن يسعى في تحصيل رضى الرحمن.[2]

الهدايات المستنبطة:

ـ النفر عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين يعتبر تنزهاً عن مخالطة الشر وأهله ، وصيانة للدين، لأن مشاهد الباطل شركة فيه[3]، فيلزم يذلك

ـ حرمة شهود الزور وحرمة شهادته.

ـ المجانبة والاعراض عن اللغو فعلا كان أو قولا.[4]

[1] رواه مسلم، كتاب الايمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، رقم الحديث (87).

[2] فتح المنان في صفات عباد الرحمن، وحيد بن عبد السلام بالي، ص122.

[3] الكشاف، الزمخشري، ج3، ص301.

[4] أيسر التفاسير، أبو بكر جابر الجزائري، ج3، ص634.

جزاء عباد الرحمن

وسيكون في هذا المبحث الحديث عن جزاء عباد الرحمن الذين يتحلون بالصفات التي أمرهم الله بها، والتخلي عن الصفات التي نهاهم الله عنها، وفي الأخير يكون الحديث على أن قيمة العباد عند ربهم تكون بقدر عبادتهم، وكل هذا مجمل في الآيات الأربع من آخر سورة الفرقان، ويكون هذا المبحث مثل سابقيه في الدراسة؛ بذكر علاقة الآيات بما قبلها، المعنى الاجمالي لهذه الآيات، الدلالات والهدايات المستنبطة منها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامٗا ﴾

علاقة الآيات بما قبلها:

لما وصفهم في الآيات المتقدمة، بما دل على أنهم أهل خير وكمال في أنفسهم .. وصفهم في هذه بما دل على محبتهم الخير والكمال لغيرهم من قرابتهم: أزواجهم، وذريتهم، ومن سواهم. وقدم الأزواج على الذرية لأنهم ألصق ولأنهم الأصل.

فذكر بعد ذلك ما أعد لهم من عظيم الجزاء على تلك الأعمال، تنبيهاً على ما وضعه تعالى، بمشيئته وحكمته ورحمته، من الارتباط بين هذه الأعمال، وهذا الجزاء، وإفضائها إليه، إفضاء السبب لمسببه؛ ليسعى الراجون لهذا الجزاء من طريق هذه الصفات وهذه الأعمال، كما يسعى لسائر المسببات من طريق أسبابها، وتؤتي جميع الأمور من أبوابها، وفي هذا حث لأهل هذه الأعمال على التمسك بما هم به عاملون، وتنبيه لأهل الغرور على بطلان ما هم به مغترون، والكَيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني.

وجاءت الآية بعدها تفيد أن ذلك المقام العظيم الذي كان عند ربهم، إنما هو بسبب عبادتهم. وتعلن للناس أن عبادتهم هي الشيء الوحيد، الذي يكون لهم به قدر وقيمة عند ربهم، وبدونها لا يكون لهم وزن عند خالقهم، ولا يكونون شيئاً يبالى به، وأن من كذب وخلع بتكذيبه ربقة العبادة، فقد حقت عليه كلمة العذاب، وهو واقع به لا محالة.[1]

المعنى الإجمالي:

أولئك الذين ذكرت صفاتهم وأفعالهم، يعطون جزاء أعمالهم البيوت العلالي في الجنة، بسبب صبرهم، وحبسهم لأنفسهم على الطاعات والمجاهدات وكفهم لها عن المعاصي والشهوات. وتتلقاهم الملائكة بالتحية والسلام، باقين في هذا النعيم المقيم، وسكنى علالي الجنة التي هي أحسن مستقر ينتهي إليها الإنسان ومقام يمكث فيه.[2]

وفي الختام بين الله أنه غنى عن الكل، وإنما كلفهم لينتفعوا، وعذبهم لعصيانه وتكذيب رسله فقال ما يفعل الله بعذابكم ... الآية، والمعنى: لا يبالى بكم، ولا يكترث، وليس لكم وزن عنده إذا لم تعبدوه، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه، ويوحدوه، ويسبحوه بكرة وأصيلا، والمعنى: لولا إيمانكم ما أبالى بكم أي: إني لا أعتد بعبادي إلا لعبادتهم، وأما أنتم يا كفار مكة فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم نتيجة تكذيبكم وهو عقاب الآخرة لزوما دائما مستمرا.[3]

وهو ختام يناسب موضوع السورة كلها ومساقها للتسرية عن رسول الله ﷺ وتعزيته عما يلاقي من عناد قومه وجحودهم، وتطاولهم عليه، وهم يعرفون مقامه ولكنهم في سبيل الإبقاء على باطلهم يعاندون ويصرون.. فما قومه؟ وما هذه البشرية كلها، لولا القلة المؤمنة التي تدعو الله. وتتضرع إليه.[4]

وسأبدأ بشيء من التفصيل في هذه الآيات:

ثواب عباد الرحمن:

[1] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص235 . 240 . 243.

[2] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص241.

[3] التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، ج2، ص741،(ط:10، بيروت: دار الجيل الجديد، 1413ه).

[4] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج5، ص2581.

فهذه أخلاق عباد الرحمن التي وعدهم ربهم عليها الدرجات العلى في الجنة، بسبب صبرهم على هذه الأخلاق الكريمة وصبرهم على ما يلاقونه من الأذى والمصائب بسبب عقائدهم وسلوكهم المتميز، بأن يجازوا على ذلك الغرف العالية، ويكرموا بالتحية والدعاء بالسلامة والإقامة الدائمة في نعيم الجنة الذي لا ينقطع ولا الخوف من الزوال.[1]

الدلالات:

نعم جزاء عباد الرحمن الجنة، ففي غرفها يجلسون، وعلى سررها يتكئون، وتحت ظلالها يسيرون، وفيها ينعمون، وهم فيها خالدون.[2]

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَر»، فاقرؤوا إن شئتم[3]: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة: 18].

وعنه أيضا ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّة عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةِ البَدْرِ وَالذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً قُلُوبِهِمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَحَاسُدَ لِكُلِّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَان مِنَ الحُورِ العِينِ... ».[4]

الهدايات المستنبطة:

ـ السبب الذي تمكن به عباد الرحمن من القيام بهذه الأعمال هو الصبر.

فهؤلاء السالكون، وما ذكر من أعمالهم وأحوالهم هو سلوكهم؛ ولما سلكوا الصراط المستقيم، بالعمل المستقيم، انتهى بهم السير إلى أحسن قرار ومقام، إلى دار النعيم المقيم، في جوار الرحمن الرحيم.

فإذا اشتقت إلى نهايتهم فتمسك ببدايتهم، وزن أعمالك بأعمالهم، وأحوالك بأحوالهم، فإذا جعلت ذلك من همك، وحملت عليه نفسك بصادق عزمك، وصبرت كما صبروا رجوت أن تظفر بما ظفروا.[5]

---

[1] التفسير الموضوعي لسور القرآن، مصطفى مسلم، مج5، 324.

[2] فتح المنان في صفات عباد الرحمن، وحيد بن عبد السلام بالي، ص150.

[3] رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ماجا في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم الحديث (3072).

[4] رواه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ماجا في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم الحديث (3081).

[5] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص243.

قيمة العباد عند ربهم بقدر عبادتهم:

فهذا ما ينتظر عباد الرحمن، أما الذين لا يرفعون لهدايات القرآن رأسا ولا يلقون لمنهجه التربوي بالا، فهم أهون عند الله من أن يجعل لهم وزنا، أو يكترث بهلاكهم، ولولا كون بعثة رسول الله ﷺ رحمة للعالمين، وقد أرجأ الله سبحانه وتعالى عقوبتهم إلى الآخرة: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال: 33]، لولا ذلك لأنزل بهم عذاب الاستئصال، ولا يبالي بشأنهم ولا يعبأ بهم فقد استحقوه بأقوالهم وأفعالهم التي كذبوا بها الرسول وأنكروا دعوته وقاوموا منهجه: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ﴾ [البروج: 20].

الدلالات:

إنما خلق الله الخلق ليعبدوه ويوحدوه ويسبحوه بكرة وأصيلا[1]، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: 56].

الهدايات المستنبطة:

ـ لا قيمة للإنسان وهو أشرف الحيوانات لولا عبادته الله عز وجل فإذا لم يعبده كان شر الخليقة.[2]

لما كانت مقادير العباد عند ربهم بحسب عبادتهم، فالأنبياء- عليهم السلام- أعلى الناس منزلة عند الله فهم أعظمهم عبادة لله، وهم أتقاهم له وأشدهم خشية منه[1]، وقد قال النبي ﷺ فيما رواه مالك: «والله إني أرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي».[2]

[1] التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ج19، ص113.

[2] أيسر التفاسير، أبو بكر جابر الجزائري، ج3، ص635.

[1] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ابن باديس، ص245.

[2] أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الصيام، باب ما جاء في صيام الذي يصبح جنبا، رقم الحديث (637).

الخاتمة

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبمنه وجوده تتنزل البركات والرحمات، والصلاة والسلام على حبيبينا المصطفى ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين.

فبعد هذه الدراسة التحليلية والموضوعية لصفات عباد الرحمن من خلال سورة الفرقان ومع البحث المتواصل خلصت إلى النتائج التالية:

ـ سورة الفرقان كانت الاستدلال على صدق الرسول ﷺ من خلال معجزة القرآن.

ـ اشتملت خاتمة سورة الفرقان على صفات عباد الرحمن بمثابة النتيجة لمحور السورة، وذلك تسرية وتسلية للنبي ﷺ.

ـ تباينت أقوال العلماء في الناسخ والمنسوخ من سورة الفرقان آيتان، ما بين نسخها وحكمها، إلا أن ابن الجوزي رأى أنهما محكمتان عند الجمهور ولا وجه للنسخ فيهما، وأنهما من قبيل تخصيص العام.

ـ إن سورة الفرقان أصل في الأخلاق والآداب.

ـ الصواب في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ أن السلام الأصل فيه التسلم أي البراءة، لا من التسليم المراد بها التحية.

ـ إن ملازمة العذاب في الآخرة على قدر ملازمة المعاصي في الدنيا.

ـ إن تخصيص العبادة بالبيتوتة أنها بالليل أحوط وأبعد عن الرياء والبيتوتة هو أن يدركك الليل سواء نمت أو لم تنم.

ئ ـ الحكمة من اجتناب قتل النفس المعصومة من إرادته ﷻ التعمير في الأرض.

ـ الاستثناء من قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى:﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ المراد به القصاص.

ـ الحكمة من اجتناب الزنى والنزاهة عنه خشية إضاعة النسب والولد.

ـ إن الفوز بالجنة هو قرين الصبر، فلا جنة دون صبر.

ـ إن أعلى الناس منزلة عند الله هم أعظمهم عبادة له وأتقاهم وأشدهم خشية منه.

ـ كان الوصف القرآني لعباد الرحمن وأيضا لعباد الشيطان جد دقيق لدرجة أننا نكاد نراهم عيانا، وقد استخدم لذلك أرفع الوسائل اللغوية من تشبيه واستعارة وكناية وطباق ومقابلة وتقديم وتأخير ونفي وإثبات وتنكير وتعريف وغيرها.

ـ ذكر ت صفات التخلي بعد التحلي تذكيرا للمؤمنين ليبتعدوا عنها.

التوصيات المقترحة:

بعد هذه الدراسة الموجزة والمختصرة لصفات عباد الرحمن، فقد ارتأيت أن أقدم بعض التوصيات والاقتراحات والتي منها:

تعميم هذه الأخلاق وايصالها للناشئ في شكل دروس مسجدية أو إلقائها في خطب منبرية ليعم النفع بها.

كما أوصي كذلك بدراسة سور القرآن دراسة تحليلية موضوعية بالطريقة الأكاديمية.

وفي الأخير:

أسأل الله تعالى أت يفقهني في الدين ويعلمني التأويل، ويجعلني من الهداة المهتدين إلى صراطه المستقيم، وأن يحشرني في زمرة النبيين والصدقين والشهداء والصالحين، وأن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، فما كان من توفيقي فمن الله وحده، وما كان من خطإ فمني ومن الشيطان.

وصلي اللهم وسلم على خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

الآية أو شطرها ـ السورة ورقمها	رقم الآية	الصفحة
[سورة البقرة: 02]		
﴿ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا ﴾	22	74
﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ ﴾	179	75
﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ ... ﴾	222	79
﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلِأَنفُسِكُمۡۚ ... ﴾	272	64
[سورة آل عمران: 03]		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ... ﴾	102	68
[سورة النساء: 04]		
﴿ وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ ... ﴾	21	78
﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾	36	72
﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ ... ﴾	41	62
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ...﴾	65	67
﴿ وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا ﴿٩٣﴾ ﴾	93	76 .23 .17
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ... ﴾	116	72
﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ﴾	140	82
[سورة المائدة: 05]		
﴿ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾	32	75
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ..﴾	91 . 90	67

[سورة الأنعام: 06]		
﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا ﴾	68	82
﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ ﴾	151	78
[سورة الأنفال: 08]		
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ ... ﴾	33	87
[سورة هود: 11]		
﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾	114	46
[سورة الرعد: 13]		
﴿ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾	22	56
﴿ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٍ... ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ ﴾	24. 23	49
[سورة إبراهيم: 14]		
﴿ وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴾	50 . 49	61
[سورة الاسراء: 17]		
﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾	23	72
﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ ﴾	29	43
﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۗ ﴾	33	64 .75
﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ ﴾	37	54 .40
﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ ﴾	79	59
[سورة مريم: 19]		
﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ ﴾	47	57

[سورة طه: 20]		
﴿ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴾	32	74
[سورة المؤمنون: 23]		
﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ...﴾	5 ـ 6	78
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ ...﴾	61	61
[سورة النور: 24]		
﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا... ﴾	02	78
﴿ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ ...﴾	22	57
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ ...﴾	51	67
[سورة الفرقان: 25]		
﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ ﴾	01	ب
﴿ وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ۝٣٣ ﴾	33	10
[سورة الشعراء: 26]		
﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴾	84	68
[سورة القصص: 28]		
﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ ﴾	55	82. 56 .41
[سورة لقمان: 31]		
﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ ﴾	18	54
[سورة السجدة: 32]		
﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ ﴾	16	59 .42

﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ ﴾	18	86
[سورة الاحزاب: 33]		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾	01	66
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾	70	68
[سورة سبأ: 34]		
﴿ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾	37	49
﴿ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ ﴾	39	
[سورة ص: 38]		
﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾	83 .82	ب
[سورة الزمر: 39]		
﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا ... ﴾	09	41
﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ ... ﴾	53	26
[سورة غافر: 40]		
﴿ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ ﴾	03	81
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾	60	73
[سورة الحجرات: 49]		
﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ ﴾	09	77
[سورة الذريات: 51]		
﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾	56	أ 87
[سورة النجم: 53]		
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ ﴾	04	29

[سورة الممتحنة: 60]		
﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾	04	57
[سورة التغابن: 64]		
﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾	16	64
[سورة الطلاق: 65]		
﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا...﴾	3. 2	68
[سورة القلم: 68]		
﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾	04	54
[سورة المعارج: 70]		
﴿ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ... ﴾	28 . 27	61
[سورة المزمل: 73]		
﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ﴾	06	59
[سورة الإنسان: 76]		
﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرٗا ﴾	04	61
[سورة المرسلات: 77]		
﴿ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴾	32	61
[سورة البروج: 85]		
﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴾	20	87

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
"أتبع السيئة الحسنة تمحها.	46
"اتقوا النار ولو بشق تمرة"	63
"اجتنبوا السبع الموبقات...	76
"إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون...	40
"إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة...	68
"أقرأ علي، قال: أقرأ عليك وعليك أنزل...	62
"أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد.	42
"ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟...	47. 82
"الدعاء هو العبادة"	74
"الذي يخنق نفسا، يخنقها في النار...	76
"إن أخوف ما أخاف على أمتي...	79
"إن الله أمرني أن أقرأ عليك...	62
"إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزني...	79
"أن تجعل لله ندا وهو خلقك...	27
"أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر...	86
"عرضت علي الجنة والنار...	62
"كذلك أنزلت...	16
"لا تقفن عند رجل يقتل...	76
"لا يزال المؤمن في فسحة من دينه...	76

"لا يزني الزاني...	78
"لم تظهر الفاحشة في قوم قط...	79
"ليس الشديد بالصرعة...	56
"ما بقي منها؟...	65
"ما نقصت صدقة من مال...	65
"مروا أبا بكر فليصل بالناس...	63
"من أتى حائضا، أو إمرة في دبرها...	79
"من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة...	76
"يتقارب الزمان وينقص العلم...	77

فهرس الآثار

طرف الحديث	الراوي	الصفحة
إذا سقطت لقمة أحدكم...	أنس بن مالك	54
أما إن ملكا بينكما...	النعمان بن مقرن	41
إن البخترة مشية تكره...	عمر بن الخطاب	35
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يزيد في رمضان	عائشة	59
أن رهطا من اليهود...	عائشة	35
إن ناسا من أهل الشرك...	ابن عباس	26
لا، نحب أن يغفر الله لنا...	أبو بكر	57
ما بالك أأنت مريض...	عمر بن الخطاب	40
من صلى ركعتين أو أكثر...	ابن عباس	59
هل لمن قتل مؤمن متعمدا من توبة؟...	سعيد بن جبير	17

فهرس الأعلام المترجم لهم

الأعلام	الصفحة
أبو القاسم الأصفهاني	10
أبو جعفر النحاس	23
أحمد بن حزم	22
بدر الدين الزركشي	10
برهان الدين إبراهيم البقاعي	18
الطاهر بن عاشور	16
عبد الحميد بن باديس	57
عبد الرحمن بن الجوزي	22
محمد عبد العظيم الزرقاني	11
مسطح بن أثاثة	57

فهرس الألفاظ الغريبة

اللفظة	الصفحة
أساوره	16
لببته	16
التمييز	36
الاستعارة	38
السام	55
الصرعة	56

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: القرآن الكريم مصحف المدينة الإلكتروني.

ثانيا: الكتب.

1. إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين الدمياطي، (ط:1، لبنان: دار الكتب العلمية، 1419هـ1998م)، تحقيق: أنس مهرة.
2. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، (ط:1 ؛لا.م : مؤسسة الرسالة، 1429هـ/ 2008م)، تحقيق شعيب الأرنؤوط.
3. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ج1 (لا.ط، بيروت: دار المعرفة، د.ت).
4. أدب الدنيا والدين، أبو الحسن البصري ، الشهير بالماوردي، (لا.ط، لا.م: دار مكتبة الحياة، 1986م).
5. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، ج6، (لا.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).
6. أرشيف ملتقى أهل التفسير8، مساعد الطيار.
7. الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، (ط:1، لا.م: دار ابن الجوزي، 1425هـ).
8. أسرار البلاغة، أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، (لا.ط، القاهرة: مطبعة المدني، د.ت)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر.
9. إعراب القرآن الكريم، أحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان - إسماعيل محمود القاسم، ج2، (ط:1، دمشق: دار المنير ودار الفارابي، 1425هـ).
10. إعراب القرآن للأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الأصبهاني، (ط:1، الرياض: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، 1415 هـ - 1995 م).
11. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، ج7، (ط:4، دمشق: دار اليمامة، 1415هـ).

12. الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، بهجت عبد الواحد صالح، مج8، (لا.ط، لا.م: دار الفكر، د.ت).
13. الأعلام، الزركلي، (ط:15، لا.م: دار العلم للملايين، 2002م).
14. إنباء الغمر بأبناء العمر، ابن حجر العسقلاني، (لا.ط، مصر: لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1389هـ. 1969م)، تحقيق: د حسن حبشي.
15. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، أبو بكر الجزائري، ج3، (ط:5، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، 2003م. 1424هـ).
16. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ج8، (لا.ط، بيروت: دار الفكر، 1420هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل.
17. بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن سليمان الرومي، (لا.ط، لا.م: مكتبة التوبة. د.ت).
18. البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدُّرة، عبد الفتاح القاضي، (لا. ط، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت).
19. البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، (لاط، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، 1410 هـ - 1990 م)، تحقيق: محمد شعباني.
20. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ج1، القاهرة: دار التراث، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
21. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى، ج1 (لاط، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1416 هـ ـ 1996 م)، تحقيق: محمد علي النجار..
22. البيان في عدّ آي القرآن، أبو عمرو الداني، (ط:1، الكويت: مركز المخطوطات والتراث، 1414هـ- 1994م)، تحقيق: غانم قدوري الحمد.
23. تاج العروس من جواهر القاموس، الزَّبيدي، (لا.ط، لا.م: دار الهداية، د.ت).

24. التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، ج18، (لاط، تونس: الدار التونسية ، 1984 م).

25. تذكرة الحفاظ، الذهبي، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419هـ-1998م).

26. التفسير التحليلي تعريفه، خطواته العلمية المنطقية وأنموذج عليه، هاشم عبد ياسين المشهداني، كلية الآداب: الدامعة العراقية، مجلة مداد الآداب، العدد الثالث.

27. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ج6، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1429هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين.

28. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، ج19، (ط:1، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، 1946م .1365هـ).

29. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، ج19، (ط:2، دمشق: دار الفكر المعاصر، 1418 هـ).

30. التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، صلاح عبد الفتاح الخالدي، (ط: 3، الأردن: دار النفائس، 2012م . 1433هـ).

40. التفسير الموضوعي لسور القرآن، مصطفى مسلم، مج5، (لا.ط، جامعة الشارقة: مطبعة المعارف، 1431هـ . 2010).

41. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، أحمد السيد الكومي ومحمد أحمد يوسف القاسم، (ط:1، لا.م: لا.ن، 1402هـ . 1982م).

42. التفسير الواضح، الحجازي، محمد محمود، ج2، (ط:10، بيروت: دار الجيل الجديد، 1413هـ).

43. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، (ط:1، بيروت: دار طوق النجاة، 1421 هـ - 2001 م)، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي.

44. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ط:1، لا.م: مؤسسة الرسالة، 2000م. 1420هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

45. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ج19، (ط: 1، لا. م، مؤسسة الرسالة، 1420 هـ - 2000 م)، تحقيق: أحمد محمد شاكر.

46. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج13، (ط:1، القاهرة: دار الكتب المصرية، 1384هـ - 1964 م)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

47. الجدول في إعراب القرآن الكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، ج19، (ط:4، بيروت: مؤسسة الايمان، 1418هـ).

48. جوانب من سيرة الشيخ ابن باز، محمد بن إبراهيم الحمد، islamhouse.com.

49. حجة القراءات، ابن زنجلة، (لا.ط، لا.م: دار الرسالة، د.ت)، تحقيق: سعيد الأفغاني.

50. الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، أبو عبد الله، (ط:4، بيروت: دار الشروق، 1401هـ)، تحقيق: د.عبد العال سالم مكرم، الأستاذ المساعد بكلية الآداب - جامعة الكويت.

51. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، (لا.ط، بيروت: دار الفكر، د.ت).

52. رسالة الشرك ومظاهره، مبارك الميلي، (ط:1، لا.م: دار الراية، 1422هـ.2001م)، تحقيق: أبي عبد الرحمن محمود.

53. سنن ابن ماجه، ابن ماجة، (لا.ط، لا.م: دار إحياء الكتب العربية، د.ت)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

54. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، (ط:1، لا.م: دار الرسالة العالمية، 1430 هـ - 2009 م)، تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي.

55. سنن الترمذي، الترمذي، (ط:2، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1395 هـ - 1975 م)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)،وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5).

56. سنن النسائي، أبو عبد الرحمن النسائي، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1411 هـ-1991م)، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن.

57. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، (ط:1، بيروت: دار ابن كثير، 1406 هـ - 1986 م)، تحقيق: محمود الأرناؤوط.

58. شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي،(ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1410هـ)، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول.

59. الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، الترمذي أبو عيسى، (لا.ط، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1412هـ)، تحقيق: سيد عباس الجليمي.

60. صحيح البخاري، البخاري، (ط:3، بيروت: دار ابن كثير ، اليمامة، 1407 هـ-1987م)، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق.

61. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (لا.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

62. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، ج2، (ط:1، القاهرة: دار الصابوني، 1417هـ . 1997م).

63. العقد الفريد، ابن عبد ربه، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1404هـ).

64. العقيدة في الله، سليمان الأشقر، (ط:12، الأردن: دار النفائس، 1419هـ .1999م).

65. غاية النهاية في طبقات القراء، أبو الخير ابن الجزري، (لا.ط، لا.م: مكتبة ابن تيمية، 1351هـ).

66. فتح المنان في صفات عباد الرحمن، وحيد بن عبد السلام بالي، (ط: 1، لا.م: دار ابن رجب، 2003م . 1424هـ).

67. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، ج5، (ط:17، بيروت: دار الشروق، 1412هـ).

68. القاموس المحيط، الفيروزآبادى، (ط:8، بيروت: مؤسسة الرسالة، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، 1426 هـ - 2005 م).
69. القواعد الحسان لتفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (ط:1، الرياض: مكتبة الرشد، 1420هـ . 1999م).
70. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ج3، (لا.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي.
71. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي الحنبلي، ج14، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1998م . 1419هـ)، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.
72. لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ج5، ، (ط: 3، دار صادر - بيروت1414 هـ).
73. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، (ط:4، دار القلم، 1426هـ - 2005م).
74. المبسوط في القراءات العشر، أحمد بن الحسين بن مِهْران النيسابوريّ، أبو بكر، (لا.ط، دمشق: مجمع اللغة العربية، 1981م)، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي.
75. مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1995م . 1416هـ)، تحقيق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين.
76. المجتبى من مشكل إعراب القرآن، أحمد بن محمد الخراط، أبو بلال، ج3، (لا.ط، المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426هـ).
77. مجموع الفتاوى، ابن تيمية الحراني، ج13، (لا.ط، السعودية: مجمع الملك فهد، 1416هـ، 1995م)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.
78. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، ج7، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1418هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود.

79. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج4، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

80. المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية، خالد بن سليمان المزيني، ج2، (ط:1، الدمام: دار ابن الجوزي، 1427 هـ - 2006 م).

81. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (لا.ط، بيروت: دائرة المعاجم، 1986م).

82. المدخل إلى التفسير الموضوعي، عبد الستار فتح الله سعيد، (ط:1، القاهرة: كلية أصول الدين، 1406هـ. 1986م).

83. مذكرة في مادة التفسير التحليلي، عبد العزيز شلي، ص10، جامعة الأمير عبد القادر الاسلامية، السنة الجامعية 2013. 2014م.

84. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، (ط:1، لا.م: مؤسسة الرسالة، 1421 هـ - 2001 م)، تحقيق: شعيب الارنؤوط.

85. مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، ج1، (ط:2، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن.

86. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، ج2، (ط:1، الرياض: مكتبة المعارف، 1408 هـ - 1987 م).

87. معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، ج3، (ط:1، بيروت: دار إحياء التراث العربي 1420هـ)، تحقيق : عبد الرزاق المهدي.

88. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج4، (ط:1، بيروت: عالم الكتب، 1408 هـ - 1988 م)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي.

89. معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، ج4، (ط:1، بيروت: عالم الكتب، 1408هـ. 1988م)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي.

90. المعجزة والرسول من خلال سورة الفرقان، مصطفى مسلم، (ط1، دمشق: دار القلم، 1427هـ. 2006م).

91. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، (ط:1، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1414هـ ـ 1993م)، تحقيق: إحسان عباس.

92. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ج4، (لا.ط، دار الفكر، 1399هـ - 1979م)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.

93. مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، ج24، (ط:3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ).

94. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ط:1، دار المعرفة، بيروت لبنان، د،ت)، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

95. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، ج2، (ط: 1، بيروت: دار الكتاب العربي، 1415هـ ـ 1995م)، تحقيق: فواز أحمد زمرلي.

96. الموجز في قواعد اللغة العربية، سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني، (لا.ط، بيروت: دار الفكر، 1424هـ - 2003م).

97. موسوعة الأخلاق، ابن القيم.

98. ناسخ القرآن العزيز ومنسوخه، هبة الله بن عبد الرحيم بن إبراهيم أبو القاسم، شرف الدين ابن البارزي، (ط:4، لا م، مؤسسة الرسالة، 1418هـ/ 1998م)، تحقيق: حاتم صالح الضامن.

99. الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، ابن حزم الظاهري، (ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1406 هـ - 1986 م)، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري.

100. الناسخ والمنسوخ، أبو جعفر النحاس، (ط:1، الكويت: مكتبة الفلاح، 1408هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام محمد.

101. النسخ في القرآن الكريم دراسة تشريعية تاريخية نقدية، مصطفى زيد، (ط:3، مصر: دار الوفاء، 1408هـ ـ 1987م).

102. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج2، (لا.ط، لا.م: المطبعة التجارية الكبرى، د.ت)، تحقيق: علي محمد الضباع.

103. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، ج5، (لا.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، 1415هـ - 1995 م)، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي.
104. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، (لا.ط، بيروت: المكتبة العصرية، 1399هـ. 1979م)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي.
105.نواسخ القرآن = ناسخ القرآن ومنسوخه، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ط:1، بيروت: شركه أبناء شريف الأنصاري، 1422 هـ - 2001 م)، تحقيق: أبو عبد الله العاملي السّلفي الداني بن منير آل زهوي.
106. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان البرمكي الإربلي، (لا.ط، بيروت: دار صادر، د.ت)، تحقيق: إحسان عباس.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

المحتويات	الصفحة
شكر وتقدير	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي	
المبحث الأول: ماهية التفسير التحليلي.	
المطلب الأول: التعريف بالتفسير التحليلي.	10
الفرع الأول: لغة.	11
الفرع الثاني: اصطلاحا.	11
المطلب الثاني: أهمية التفسير التحليلي.	12
المطلب الثالث: خطوات التفسير التحليلي.	12
المبحث الثاني: ماهية التفسير الموضوعي.	
المطلب الأول: التعريف بالتفسير الموضوعي.	13
الفرع الأول: لغة.	13
الفرع الثاني: اصطلاحا.	13
المطلب الثاني: أهمية التفسير الموضوعي.	14
المطلب الثالث: خطوات التفسير الموضوعي.	15

المبحث الثالث: مباحث علوم القرآن المتعلقة بسورة الفرقان.	
المطلب الأول: التعريف بسورة الفرقان.	16
الفرع الأول: اسمها.	16
الفرع الثاني: ترتيب السورة وعدد آياتها.	17
الفرع الثالث: مكيتها ومدنيتها.	17
المطلب الثاني: أنواع المناسبات في السورة.	
الفرع الأول: المناسبة بين افتتاحية سورة الفرقان وخاتمة سورة النور.	18
الفرع الثاني: المناسبة بين افتتاحية سورة الفرقان وخاتمتها.	19
الفرع الثالث: المناسبة بين خاتمة سورة الفرقان وافتتاحية سورة الشعراء.	19
الفرع الرابع: المناسبة بين سورة الفرقان وبين سورة النور وسورة الشعراء من ناحية الموضوع.	19
الفرع الخامس: المناسبة بين خاتمة سورة الفرقان ومحورها.	20
المطلب الثالث: أغراض السورة ومقصدها.	
الفرع الأول: أغراض السورة.	20
الفرع الثاني: مقصد السورة.	21
المطلب الرابع: الناسخ والمنسوخ.	22
الفصل الأول: الدراسة التحليلية.	
المبحث الأول: أسباب النزول وأوجه القراءات.	

المطلب الأول: أسباب النزول.	26
المطلب الثاني: أوجه القراءات.	30
المبحث الثاني: شرح المفردات والأوجه النحوية والبلاغية.	
المطلب الأول: شرح المفردات.	32
المطلب الثاني: الأوجه النحوية.	35
المطلب الثالث: الأوجه البلاغية.	38
المبحث الثالث: تحليل الآيات.	40
الفصل الثاني: الدراسة الموضوعية.	
المبحث الأول: صفات التحلّي بالكمالات الدينية.	
المطلب الأول: علاقة الآيات بما قبلها.	52
المطلب الثاني: المعنى الإجمالي.	52
المطلب الثالث: الدلالات والهدايات المستنبطة.	54
المبحث الثاني: صفات التخلّي عن ضلالات أهل الشرك.	
المطلب الأول: علاقة الآيات بما قبلها.	70
المطلب الثاني: المعنى الإجمالي.	71
المطلب الثالث: الدلالات والهدايات المستنبطة.	71
المبحث الثالث: جزاء عباد الرحمن.	

المطلب الأول: علاقة الآيات بما قبلها.	84
المطلب الثاني: المعنى الإجمالي.	85
المطلب الثالث: الدلالات والهدايات المستنبطة.	85
خاتمة.	88
الفهارس.	
فهرس الآيات القرآنية.	92
فهرس الأحاديث النبوية.	97
فهرس الآثار.	99
فهرس الأعلام المترجم لهم.	100
فهرس الألفاظ الغريبة.	101
فهرس المصادر والمراجع.	103
فهرس المحتويات.	113

تم بحمد الله